مصادر الأمثال في الحديث النبوي

دكتور

أحمد عبد التواب عوض

مصادر الأمثال في الحديث النبوي

دكتور/ أحمد عبد التواب عوض(*)

(٠-٠) مقدمة

انصرفت همة أكثر الباحثين في الحديث النبوي إلى التَّعَرّف على سنة النبي ـ ﷺ ـ : القولية والفعلية والتقريرية، وتطورت الدراسات والأبحاث وتخصصت فكانت منها الدراسات: الفقهية، والتاريخية، والاجتماعية، والعقدية، والفكرية...، أما الدراسات الفنية والأدبية، فتندر بين هذه الدراسات؛ وهي التي تُظْهر ما للبيان النبوي من سِمَات وخصائص، فمع دِقَّة مضمون الأحاديث النبوية نجد دِقَّة معرضها الأدبي.

وهذه الدراسة محاولة لمعايشة البيان النبوي لمعرفة مصادر ضرب الأمثال التي وردت في الأحاديث النبوية، وتقف الدراسة على هذا الجانب من كلام المصطفى ـ ﷺ ـ علّها تكون قطرة من غيث الدراسات الأدبية لأحاديث النبي ـ ﷺ ـ، لِأُظْهِرَ مصادر ضرب الأمثال وبيئته التي استقى منها الحديث تمثيله، وماذا نستفيد من معرفة ذلك؟.

وأقصد بالأمثال التصوير، الذي يظهر في التشبيه التمثيلي والاستعارة التمثيلية، والحركة التصويرية، والقصة التمثيلية.

* أستاذ مساعد بكلية البنات جامعة عين شمس.

إن أوجه بيان الأحاديث النبوية وبلاغتها كثيرة؛ فقد أوتي رسول الله ـ ﷺ ـ جوامع الكلم، ففي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ، وذكر منها "أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ..." [(١)]، قال الهروي: يعني به القرآن ؛ جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة ، وكلامه صلى الله عليه وسلم: كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني[(٢)].

ومن مميزات ضرب الأمثال ما ذكره إبراهيم النظام في المثل: حيث يجتمع فيه...: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحُسْن التشبيه، ... وكذا ما قاله ابن المقفع في المثل: إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق، وآنَقَ للسمع، وأوْسَعَ لشُعُوب الحديث[(٣)].

فإذا كانت نفس الإنسان قد ارتبطت بكل ما هو حسي ومألوف لديها، فضرب الأمثال لتوضيح المعنويات أو تمثيل الأشياء غير المألوفة بالحسيّات يُفهم السامع ويقرب الشيء منه، فضرب الأمثال بالأشياء المألوفة والحسية يقرب فهم الشيء إلى الإنسان، فإن النبي صلى الله عليه وسلم باستخدامه التشبيه والتمثيل

---

(1) صحيح مسلم، للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ومعه:المنهاج، بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام الحافظ الفقيه: أبى زكريا محيى الدين يحيى النووي، تحقيق د. عبد المعطى أمين قلعجي، الناشر دار الغد العربي الطبعة الأولى (من رمضان ١٤٠٧ هـ = مايو ١٩٨٧ م - رمضان ١٤١٠ هـ = إبريل ١٩٩٠ م. باب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم ٨١٢، وانظر رقم ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥.

(2) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، حديث رقم ٨١٢.

(3) انظر: جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، الحسن بن سهل، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، المؤسّسة العربيّة الحديثة، القاهرة، سنة (١٩٦٤م)، ص ١٠، وانظر: مجمع الأمثال، الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، تحقيق محي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، الطبعة الثّانية، مطبعة السّعادة، مصر، سنة (١٩٥٩م، ٦/١.

والتصوير وضرب الأمثال ليزيد الأمور توضيحا، ويجسد المعنوي ويزيده إيضاحا، ويبرزه في صورة حسية، ويزيد الفهم، ويصور المعاني ويرسخها في الذهن، وضرب المثل الذي أقصده في هذا البحث يشمل التشبيه التمثيلي والاستعارة التمثيلية والقصة التمثيلية وتوظيف الأمثال العربية.

ومعرفة مصادر ضرب الأمثال يعطينا رابطا بين المعنى والقائل والقابل، لأن الذي يصور الشيء ويشبهه ويضرب له مثلا يجب أن يذكر صورة يدركها القابل، ويعرفها القائل، وتزيد المعنى إيضاحا.

وينقسم البحث إلى محاور مصادر الحديث النبوي في خمسة محاور، هي:

١ـ ضرب الأمثال من البيئات المختلفة: سواء أكانت بيئة بدوية، أم زراعية، أم بحرية، أم حرفية وعمرانية، أم بيئة رجال الأعمال...

٢ـ ضرب الأمثال بما يشارك الإنسان على وجه الأرض: من نبات، أو حيوان، أو طير، أو هوام، أو حشرات...

٣ـ ضرب الأمثال بما يلازم الإنسان: من أجزائه، أو طعامه، وشرابه، أو ثقافته، أو الظواهر الطبيعية الأخرى مثل السماء والأرض والمطر... وغيرها.

٤ـ ضرب الأمثال بالمعنويات أو الغيبيات: الظواهر الأخرى كالغيبيات مثل الملائكة والشياطين، وما كان مصدرا من مصادر ضرب الأمثال.

٥ـ ضرب الأمثال بالحركات: حيث صور النبي صلى الله عليه وسلم بحركات إما بإشارة أو حركة.

٦ـ المشبه به في الأمثال النبوية: حيث تتبعت المشبه به وأظهرت مصادره، وقسمتها إلى الفئات التالية:

١- ما يتعلق بالإنسان: من أعضاء الإنسان، وأدوات معيشته وطعامه وشرابه.

٢ ـ ما يتعلق بالحيوانات.

٣ ـ ما يتعلق بالبيئة الصحراوية.

٤ـ ما يتعلق بالبيئة الزراعية .

٥ـ ما يتعلق بالبيئة البحرية.

٦ ـ ما يتعلق ببيئة الأعمال.

٧ـ ما يتعلق بالمنازل والأبنية.

٨ ـ ما يتعلق بالغيبيات.

٩ـ ما يتعلق ببيئة الحروب.

١٠ـ ما يتعلق بالأحكام الشرعية.

١١ـ ما يتعلق بالظواهر الطبيعية.

١٢ـ الأمثال وما يجري مجرى المثل.

وقد سبقت هذه المحاور بمقدمة، وعقب عليها بخاتمة، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع، فإن أكن قد وُفِّقْتُ فَمِنَّةٌ من الله وفضلٌ، وإن كانت الأخرى؛ فأرجو أن لا أَفْقِدَ أجر المجتهد.

(١ـ ٠) ضرب الأمثال بالبيئات البيئات بمستوياتها الخمسة: البدوية، والزراعية، والبحرية، والحرفية، ورجال الأعمال:

يذكر الرسول ـ ﷺ ـ أمثلة من البيئات المختلفة سواء أعاشها أم لم يعشها فيذكر أمثلة ويقرب بها الصور من: البيئة البدوية الصحراوية، أوالبيئة الزراعية، أو من البيئة البحرية، أو الحرفية والعمرانية، أو بيئة رجال الأعمال:

(١-١) البيئة البدوية الصحراوية: الصحراء بيئة قد لا تتوفر لبعض الناس، فمن يعش في القرى والمدن ولم يعش في البادية فلا يعلم تفاصيل هذه الحياة، ولكنه بثقافته العامة قد يتخيل أشياء معينة، ومعرفتها لا تعني بالضرورة أن الإنسان عاش هذه الحياة، ونريد أن نعرف الصورة المستمدة من البيئة البدوية الصحراوية التي مثل بها النبي صلى الله عليه وسلم، هل كانت من خصوصيات الحياة التي لا يعرفها إلا من عاش هذه الحياة أم أشياء تخص هذه الحياة ويستطيع أن يتخيلها من لم يسكنها؟.

كان من الصور التي مثل لها الحديث النبوي الظواهر الطبيعية التي تعرض لساكن البادية، فيقرب الصورة إلى أذهان المتلقين وقلوبهم، ويُظهر المعنوي في صورة حسية، أو يقرِّب صورة غير المعلوم بشيء معلوم، أو يوضحه حتى يفهمه المستمعون ويتقبله المتلقون، ومن هذه الصور:

(١-١-١) صورة النار في البيئة البدوية: من الصور التي ضُرِبَ بها المثل في الحديث النبوي ما خص الله به البيئة الصحراوية أو البيئة المفتوحة، من وجود الشجرة المباشرة للنار التي يوريها الإنسان فتؤجج نارا عظيمة لما يجمع لها من حطب، فيتمتع بها مضيء النار بطهو طعامه، أو استدفائه أو إضاءة المكان من حوله، أو أي متاع أراده من هذه النار، فيكون الحطب أداة

لإيقاد النار؛ فإذا أشعلها صارت نارا يقضي بها متاعه، وعند ارتفاع النار وإضاءتها تأتي الجنادب والفراش من المناطق المفتوحة كالبيئة الصحراوية فتقع في هذه النار، وتأكل النار الحطب، فإذا انتهى طعامها منه خمدت، وبقي جمر النار فترة ثم تُطْفأ، وإذا أراد موقد النار أن يتأكد من إطفاء ناره، أو أراد أن يُطفئها وهي مشتعلة يستعمل الماء لذلك، هذه صور تكون في يدرك تفاصيلها من عاش الحياة البدوية أو الصحراوية، ويستطيع أن يتخيلها من لم يعش هذه الحياة، فيوظف البيان النبوي هذه الصور المأخوذة من البيئة التي يفهمها المُتَلَقِي والمُلْقِي، وتُظْهر الموضوع وتوضّحه، فيضرب أمثالا بكل مرحلة من هذه المراحل ليوضح بها أمورا، فمثلا:

(١-١-٢) **صورة جمع الحطب لإيقاد النار:** يُرْوَى الحديث عن عبد الله بن مسعود وعن سَهْل بْن سَعْد بروايتين، فرواية ابن مسعود أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "إيَّاكم ومُحَقَّرات الذنوب، فإنهن يجتمعن علي الرجل حتى يُهْلِكْنَهُ، وأنَّ رسول الله صلي الله عليه وسلم ضرب لهن مثلاً، كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل يجيء بالعود، والرجل يجيء بالعويد، حتى جمعوا من ذلك سواداً، ثم أجَّجوا ناراً فأنضجت ما قذف فيها"(٤).

(٤) مسند أحمد، ط الميمنية (الحلبي) بمصر، سنة ١٣١٣ هـ، ٤٠٢/١، وفي ط: أحمد شاكر، ٣١٢/٥، وصححه، وكتاب الأمثال في الحديث النبوي (ـ ﷺ ـ) أبو الشيخ الأصبهاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ت: ٣٦٩ هـ) تحقيق د. عبد العلى عبد الحميد حامد، الدار السلفية بومباي الهند، ط ٢، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م، برقم (٣١٩). وتوجد رواية أخرى عن سَهْل بْن سعد.

تضمن الحديث صورتين: الأولى: صورة جمع الحطب لإيقاد النار، وهم في فلاة، أو في بطن واد، ليس به كثير حطب، فجعلوا يجمعون الحطب؛ أحدهم يأتي بالعود، والثاني يأتي بالعويد (تصغير عود) ولكن القليل إلى القليل كثير، فاجتمع عندهم من هذه الأعواد حطب كثير.

والصورة الثانية: تأجيج النار وإيقادها، وأثرها في الطعام، فأوقدت النار في هذا الحطب الكثير المكون من أعواد، فأنضج الطعام.

ومثل هذا كثير في كلام العرب مثل قولهم: "الذَّوْدُ إلىَ الذَّوْدِ إبِلٌ"(٥)، ... وغير ذلك من الأمثال التي جعلت اجتماع القليل إلى القليل كثير.

(١-١-٣) اجتماع الفراش على النار بعد إيقادها: في الحديث الذي ورد عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله عن النبيﷺ: "إنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ والفَرَاشُ يَقَعْنَ فيه فأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُم وَأَنْتُم تَقَحَّمُونَ فِيه"(٦) وفي رواية: الجنادب والفراش.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: هذا مثل كثير المعاني، والمقصود أن الخلق لا يأتون ما يجرهم إلى النار على قصد الهلكة، وإنما يأتون على قصد

---

(٥) مجمع الأمثال، الميداني، برقم:١٤٥٦.

(٦) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قرأ أصله تصحيحا وتحقيقا وأشرف على مقابلة نسخه، المطبوعة والمخطوطة:عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقمه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، الطبعة السلفية د ت، في الرقاق (٢٦) باب: الانتهاء عن المعاصي ٣١٦/١١، وفي الأنبياء (٤٠) باب قول الله تعالى: {ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أوّاب} ٤٥٨/٦، ورواه مسلم: في الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته برقم (٥٨٤٥)٢٤٨/٧ واللفظ له، وبروايات وألفاظ مختلفة رقم (٥٨٤٦ - ٥٨٤٨) ٢٤٨/٧-٢٤٨.، ورواه الترمذي، في الأمثال باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله، برقم (٢٨٧٤) ١٥٤/٥.

المنفعة واتباع الشهوة، كما أن الفراش يقتحم النار(٧) لا ليهلك فيها، بل لما يعجبه من الضياء، فَشَبَّه بفعله هذا تساقط الجاهلين والمخالفين بسبب معاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة، على الرغم من حرص النبي ﷺ على منعهم، وإشفاقه عليهم، كأنه واقف على حافة النَّار يمنعهم، وهم يتفننون في التَّفَلُّتِ منه لكي يقتحموا النار ويقعوا فيها، للشهوة العاجلة كما قال أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: "حُفَّت الجَنَّةُ بالمكاره وحُفَّت النَّار بالشَّهوات"(٨) وهو أيضاً تمثيل حسن، ومعناه: لا توصل الجنة إلا بركوب المكاره التي رُبَّما كانت شديدة على النفس وهواها، والنار محفوفة بالشهوات المحرمة، فهؤلاء العصاة تجتذبهم شهواتهم إليها، فهم في حرص على الوقوع في النار مع مَنْعِهِ ﷺ إياهم، وقَبْضِهِ على مواضع المنع منهم، مُشَبَّهُون بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه، فكلاهما حريص على إهلاك نفسه، ساع في ذلك لجهله"(٩).

يقول الغزالي: "التمثيل وقع على صورة الانكباب على الشهوات من الإنسان، بإنكباب الفراش وتهافتهم على النار، ولكن لجهل الآدمي يعذب بالبقاء في النار مدة طويلة، أو أبداً في الدار الآخرة، والله المستعان"(١٠).

تضمَّن الحديث صورتين حِسِّيَّتين: أولاهما: مشهد ذلك الرجل الذي أوقد النَّار للاستضاءة والتدفئة والانتفاع بها، ووقوع الدَّواب والفراش في النار وما كان من جهد الرجل في ذبِّها ودفعها.

---

(٧) انظر: فتح الباري ٦/٤٦٤.

(٨) رواه مسلم في صفة الجنة والنار(٢٩) باب: صفة الجنة رقم (٦٩٩٢) ٨/٢٢٥،.

(٩) انظر: شرح النووي ٨/٢٢٧.

(١٠) فتح الباري ٦/٤٦٤.

ثانيتهما: تصور كفاح النبي ﷺ وجهاده في الدعوة إلى الله وتبليغها للناس كافةً، وحرصه على ذلك، وموقف المعاندين والمعرضين عن دعوته ﷺ.

فشبَّه سقوط المعاندين في نار جهنم جزاء معصيتهم، وذلك بإصرارهم على الكفر والضلال بتهافت الجنادب والفراش في نار الدنيا، لولعها بالنار وضعف تمييزها بين النَّافع والضَّار، والجامع بينهما حرص كل من الصنفين على اهلاك نفسه وسعى كل منهما في هذا الهلاك بجهله وحماقته فيفتح هذا المثل أعيننا على هذه الصورة المحزنة الكئيبة للعاصين المعاندين المصرِّين على الكفر أو قوله ﷺ: "وأنا آخذٌ بحجزكم"مثل حالة منعه الأمة عن الهلاك بحالة رجل آخذ بحجزة صاحبه، الذي كاد يهوى في مهواة مهلكة[١١].

(١-١-٤) صورة الجمر بعد خمود النار: ويضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للمتسولين الذين يحترفون التسول ومسألة الناس، في صورة تُرَهِّب من يتخذ هذا العمل حرفةً له بقوله: "مثل الذي يسأل من غير حاجة كمثل الذي يلتقط الجمر"[١٢]. فأعطى البيان النبوي صورة لمن يسأل الناس من غير حاجة، بصورة من البيئة البدوية، يعرفها كل من عاش بها، ولا يجهلها من لم يعش هذه البيئة فهو كمن يلتقط الجمر؛ فصور ما يأخذه بسؤال الناس للاستكثار به؛ مثل جمر النار الذي يجمعه بقصد المنفعة، ولكنها تحرقه ويكوى بها، فجعل الهلاك والثبور والأذى فيما يظن فيه المنفعة، فضرب مثلا بصورة حسية.

(١-١-٥) أكل النار للحطب وإطفاء النار بالماء: يمثل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الحسد وإبطاله أعمال الإنسان الصالحة بمثال حسي، ويظهر الصدقة

---

(١١) فح الباري ٣١٩/١١.

(١٢) مسلم الزكاة رقم ١٠٥.

بما يبطل مفعوله؛ بقوله ـ ﷺ ـ:"الحسد يأكل الحسنات كما تأكل الحطب، والصدقة تُطْفِئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والصيام جُنَّة من النار"(١٣).

وهذه أمثلة حسية من البيئة لتظهر المعنوي وتقربه للنفوس، وفي هذا المثل صورتان حسيتان متضادتان، تكاد إحداهما تبطل عمل الأخرى، فصور: أكل النار للحطب، وهي صورة حسية واضحة لكل ذي عينين، والصورة الثانية المضادة لها، هي: إطفاء الماء للنار.

وفي مقابل هاتين الصورتين الحسيتين: كانت صورتان للحسد، والصدقة، وكأنهما متضادتان، ففعل الحسد مع الحسنات، كفعل النار مع الحطب، وفعل الصدقة مع السيئات كفعل الماء مع النار.

مثَّل ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل مراحل إيقاد النار في الخلاء أو البادية: بأمثلة توضح مسائل في العقيدة أو في الثواب والعقاب، أو توضح بعض المسائل وتقربها للعقول؛ لكي يفهمها القابل، أو تصور المعنوي في صورة حسية، وذلك لأن هذه البيئة معروفة لدى القائل والقابل، ومتصورة لدى من لم يعش هذه الحياة ولم يجربها، فيستطيع كل إنسان أن يتخيل هذه الصور التي مُثِّلَ بها ويتصورها.

(١-١-٦) **ضرب الأمثال بقلة الماء في حياة البادية:** يمثل النبي ﷺ نفسه واستجابة أمته لأوامره وطاعته واتّباع هديه، والدنيا ومتاعها وتأثيرها على الإنسان، بقصة تمثيلية من البيئة، فعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّمَا مَثَلِي

(١٣) رواه أبو داود ٢/٥٧٤، وابن ماجه ٢/١٤٠٧ وإسناده ضعيف.

وَمَثَلُكم ومَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سلَكُوا مَفَازَةً غبْرَاءَ، لا يدرونَ مَا قَطَعُوا منهَا أَكْثَرَ أَوْ ما بقي منهَا فَحسرَتْ ظُهُورُهم ونَفِدَ زَادُهم، وسَقَطُوا بيْنَ ظَهرَاني المَفَازَةِ فأيقَنُوا بالْهَلَكَةِ، فبيْنَا هُمْ كَذَلكَ إذ خرَجَ عَلَيْهم رَجُلٌ في حُلَّةٍ يَقْطُرُ رَأسُهُ، فقَالُوا: إنَّ هَذَا لَحَديثُ عَهْدٍ بِرِيفٍ. فانتَهَى إليْهم، فقال: يا هؤلاءِ ما شأنكمُ؟ فقَالوا: ما ترى، كَيْفَ حَسرَتْ ظُهُورُنا ونَفِدَتْ أزوادُنا بَيْنَ ظَهْرَاني هَذه المَفَازَةِ، لا ندرى ما قَطَعْنَا منْهَا أَكْثَرَ أَمْ ما بَقِيَ؟ فقَالَ: مَا تَجْعَلُونَ لِي إنْ أورَدْتُكم مَاءً رَوَاءً وَرِياضاً خُضْراً ؟ قَالوا حُكْمُكَ، قَالَ: تُعْطُوني عُهُودَكُم وَمَواثِيقَكُم أَنْ لا تعصوني؟ ففعلوا فمال بهم فأوردهم ماءً رَواءً ورِياضاً خُضْراً، فَمَكَثَ يَسيراً ثُمَّ قَالَ: هَلُمُّوا إلى رِياضٍ أعشَبَ مِنْ رِيَاضِكُمْ هَذِهِ، وَمَاء أرْوَى مِنْ هَذَا. فَقَالَ جُلُّ القَوْمِ مَا قَدَرْنَا علَى هَذَا حتى كِدْنَا أَنْ لا نقدرَ علَيْهِ، وقَالَتْ طَائفَةٌ منْهُم: ألستم قَدْ جَعَلْتُم لِهَذَا الرَّجُلِ عُهُودَكُم وَمَواثِيقَكُم أَنْ لا تَعْصُوه؟، وَقَدْ صَدَقَكُم في أَوَّلِ حَديثِهِ فآخرُ حَديثِه مثْلُ أوَّلِه، فَرَاحَ وَرَاحُوا مَعَهُ، فَأَوْرَدَهُمْ رِياضاً خُضْراً وَمَاءً رَوَاءً، وَأَتَى الآخَرِينَ العَدُوُّ مِنْ لَيْلَتِهِم فَأَصْبَحُوا ما بينَ قَتيلٍ وَأَسيرٍ"(١٤).

هذه صورة توضح بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الذي أتى الناس، وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم منها، ونحن نعيش في هذه الدنيا لا ندرى آلذى انتهى من عمرنا أكثر أم ما يقي منه؟، فأرشدنا النبي ﷺ إلى طريق الخيْر والفوز بالدنيا والآخرة، فأخذ بعض الناس سعادة الحياة الدنيا من الدين واكتفوا بها، ولكن

(١٤)رواه الرامهرمزى في كتاب أمثال الحديث المروية عن النبي ـ ﷺ-، للقاضي أبي الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى، علق عليه أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤٠٩= ١٩٨٨م، رقم (٢٣) ص ٥٩ واللفظ له، ورواه أحمد ٢٦٧/١، والحاكم ٣٩٧/٤ من طريق أخرى عن سمرة بن جندب، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وانظر: مجمع الزوائد للهيثمي ٢٦٢/٨.

النبي ﷺ ليست غايته سعادة الدنيا فقط، بل سعادة الدنيا والآخرة، فأرشدهم إلى الدار الآخرة، فاستجاب له المؤمنون، ورضي بالحياة الدنيا وزينتها الغافلون، فأتاهم الموت بغتة وَأُخِذُوا إلى عذاب النار وَبِئْس المصير، كما قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} فأصابه البؤس في الدنيا، وكانت عاقبته خسرا، ومثل هؤلاء لم ينعموا بالأمن، وكانت عاقبتهم اجتياح الأعداء لهم وقتلهم أو جرحهم، أما الذين اتبعوه وآمنوا به وصدّقوه، فقد فازوا بسعادة الدارين: الدنيا والآخرة كما فاز هؤلاء المصدقون بالنجاة من الهلكة بالبيداء في الدار الأولى، ثم نجوا إلى دارٍ أفضل وهى الدار الآخرة، وهكذا يضرب النبي ﷺ المثال من البيئة المحيطة به ليقرب إلى الأفهام ما يريد أن يوصّله إليهم.

(١-١-٧) **رعاية الإبل:** رعاية الإبل من أهم ما يميز البيئة الصحراوية البدوية، حيث إن حياة معظم من يقيم بالجزيرة العربية مرتبطة بها، فاهتم بضرب المثل بما في البيئة التي يعيشها العربي ويفهمها من لم يعشها، فضرب أمثال عدة بهذه الحيا منها، فذكر ما يكون فيها من بعران وإبل وغير ذلك مما يوجد في الحياة البدوية، وكيفية التعامل مع حيواناتها، وحسن سياستها، وإطعامها وسقايتها، والسنن في ذلك.

عن عوف بن مالك قال: قال النبي ﷺ: "هل أنتم تاركي لي أمرائي؟ فإنما مثلكم ومثلهم، كمثل رجل اشترى بعيراً وإبلاً فرعاها ثم أوردها فأشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدرته، فصفوة أمرهم لكم، وكدره عليهم"(١٥).

(١٥)رواه أبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي رقم (٢٩٩) والطبراني في الكبير ٤٩/١٨ رقم ٢٠٥٧.

مثل ﷺ هذا الفعل بهذا المثال حاضا الناس على الهروب من طلب الإمارة، فنجد أن التصوير النبوي في تمثيل بأشياء من البيئة الصحراوية كانت بصورة يستطيع أن يتخيلها من لم يخبرها ويعشها، ويدرك مراميها من خبرها وعاشها.

(١-٢-٠) البيئة الزراعية:

ضرب الرسول ـــ ﷺ ـــ أمثالا من البيئة الزراعية بنباتاتها وشجرها ونخيلها وثمرها ، وقرّب الصور المرادة منها:

البيئة الزراعية وصفات النبات بها: حيث إن البيئة الزراعية تشتمل على النباتات والأشجار والنخيل، فوجدنا ضرب الأمثال بالأشجار، أو النخيل أو النباتات التي يوظفها ضرب الأمثال للغرض الذي يسوقه لأجله، ونتوقف مع أمثلة تمثل المؤمن أو أعماله بنباتات أو أنواع منها، وكمثال على ضرب الأمثال من البيئة الزراعية.

(١-٢-١) تمثيل المؤمن بالنخلة: فيأخذ ﷺ ما يناسب تمثيل المؤمن من البيئة المحيطة به، ومثل بيئة المدينة المنورة الحافلة بالنخيل حولها، فمثّله بالنخلة التي قال عنها الحق تبارك وتعالى: { وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ }[١٦] فعن ابن عمر عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ أنه قال: "مثل المؤمن مثل النخلة، إن جالسته نفعك، وإن شاركته نفعك، وإن شاورته نفعك، وإن صاحبته نفعك، وكل شيء من شأنه منافع، فكذلك النخلة كل شيء من شأنها منافع"[١٧]، وفي رواية أخرى: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ

---

(١٦) سورة ق: ١٠.

(١٧)الأمثال من الكتاب والسنة، لأبى عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذي، تحقيق: على محمد البجاوي، ط مكتبة دار التراث الإسلامي، د ت، ص ٤٠، والرامهرمزي في أمثال=

مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَة لا يسقطُ وَرَقُها، وَإِنَّها مَثَلُ المُسْلِم، فَحَدِّثُونِي، ما هي؟ فَوَقَعَ النَّاس في شَجَرِ البَوَادِي، قال عبد الله: وَوَقَعَ في نَفْسِي، أَنَّها النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالوا: حدِّثْنَا ما هي يا رسولَ الله ؟، قال: هي النَّخْلَةُ...."[١٨].

وقد خصّت بعض الأحاديث وجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق، منها ما رواه الحارث بن أبى أسامة عن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: "إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أنملة، أتدرون ما هي؟ قالوا: لا، قال: هي النخلة، لا تسقط لها أُنْمُلَة، ولا تسقط للمؤمن دعوة"[١٩] وفى رواية: "بركتها كبركة المسلم"[٢٠]، وهذا لا يخفى فبركة المسلم عامة في جميع الأحوال، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته، وكذا النخلة بركتها موجودة في جميع أجزائها حتى في النوى والليِّف... وغيرها، وفى رواية: "أصلها ثابت وفرعها في السماء"[٢١]، فأصل دين المسلم ثابت، وما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب، فإن النخلة شبهها النبي ﷺ

= الحديث رقم (٣٠)، وأبو الشيخ الأصبهاني في: كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٥٧ وصحيح ابن حبان(الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسي، قدم له وضبط نصه:كمال يوسف الحوت، ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان سنة ١٣٩٧ هـ= ١٩٧٧ م، ١/٢٣٣، ٧/٣٢٩.

(١٨) رواه البخاري في كتاب العلم، باب (٤) قول المحدث: حدثنا رقم ٦١/ ١٤٥ ووردت أطرافه في رقم ٦٢، ٧٢، ١٣١، ٢٢٠٩، ٤٦٩٨، ٥٤٤٤، ٥٤٤٨، ٦١٢٢، ٦١٤٤ ورواه مسلم، في التوبة (٦٩٦٠)، باب مثل المؤمن مثل النحلة ٨/٢٠٩.

(١٩) فتح الباري ١/١٤٦.

(٢٠) فتح الباري ١/١٤٦، عن طريق الأعمش قال: حدثني مجاهد عن ابن عمر.

(٢١) رواه ابن حبان عن رواية عبد العزيز بن مسلم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر.

بالمسلم وإن لم تكن نظيرة له أو من جنسه؛ لأوجه التشابه بينهما في الخير، ممَّا يُجَسِّد المعنوي، ويزيد الفهم ويصوِّر المعاني ويرسِّخها في الذهن.

شبهت النخلة بالمؤمن وشبه المؤمن بالنخلة لكثرة خيرهما، وإن كان الأظهر أن يشبه المؤمن أو المسلم بالنخلة، وقد حدث أن شبهت النخلة بالمؤمن، أي الحسي بالمعنوي، فقلب التشبيه لظهور أمر المؤمن أو المسلم وكثرة خيره وبره ونفعه، حتى لا يشك في ذلك شاك، وأصبح ذلك من الأمور المصدقة أكثر من تصديق الإنسان بالحسّيات، كذلك النخلة كثيرة الخير والمنافع، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منها حتى ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة، ومن خشبها وورقها وأغصانها، فيستعمل جذوعاً وحطباً وعصياً ومخاصر وحصراً وحبالاً وأواني...وغير ذلك، ثم آخر شيء نواها، وينتفع به علفاً للإبل، ثم جمال نباتها، وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع كلها، وخير وجمال، كما أن المؤمن خير كله، من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه، فهو مواظب على صلاته وصيامه وقراءته وذكره، وصدقته وصلته وبرِّه، وسائر الطاعات... وغير ذلك[٢٢].

(١-٢-٢) ضرب المثل للمؤمن بالخامة من الزرع أو السنبلة، وغيره بالأرزة: فعن كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : "مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ الخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً، وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى، حتى تَهِيجَ، وَمَثَلُ الكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ الْمجْذِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا، لا يُفَيِّئُهَا شَيْءٌ، حتى يكون انْجِعَافُهَا مَرَّةً

---

(٢٢) انظر: النووي شرح مسلم ٨/٢١١.

واحدَةً"(٢٣)، إن بلاء الله للمؤمن في بدنه وأهله أو ماله..وغير ذلك في الدنيا، تكفير عن سيئاته، أو لرفع درجاته، فهو يعيش في الدنيا كثير الابتلاءات متحملا للمصائب، وإن كان تأثره بها لا يصل إلى درجة الانهيار، فهو مثل القصبة الرطبة من الزرع، عندما يهب الريح عليها يميلها ويقلبها مرة هكذا ومرة هكذا، فلا تستقر على حال لكثرة هبوب الرياح عليها، ولكن هذه الرياح لا تؤثر على حياتها، بل تزيدها صلابة ومرونة وثباتا في الأرض.

أما الكافر (وفى رواية: المنافق) فقليل الابتلاءات في الدنيا، ويمهله الله حتى إذا أخذه لم يُفْلِته، فلا يُكثر ابتلاءه في الدنيا، حتى لا يكون ذلك تكفيرا عن ذنوبه؛ ليحمل أوزاره كاملة يوم القيامة، وأن الكافر أو المنافق، إذا ابتُلى لم يصبر لعدم إيمانه بقضاء الله وقدره، فلا يتحمل المصائب وينهار عند حصولها، فهو كالأرزة التي لا تميلها الرياح، وإنما إذا اشتدت عليها الريح قلعتها مرة واحدة، ليبسها وعدم مرونتها.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: والمعنى فيما نرى: أنه شبَّه المؤمن بالخامة من الزرع التي تميلها الريح لأنه مُرزأ في أهله وماله وولده، أمَّا الكافر فمثل الأرزة التي تميلها الريح، والكافر لا يرزأ شيئاً حتى يموت، فإن رزئ لا يؤجر عليه، فشبَّه موته بانجعاف تلك، حتى يلقى الله بذنوبه جملة(٢٤).

---

(٢٣) رواه البخاري في المرضى (٥٦٤٣) باب: ما جاء في كفَّارة المرض ١٠٣/١٠، ورواه مسلم في التوبة باب: مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجرة الأرز برقم (٦٩٥٦) ٢٠٦/٨ وأطرافه في ٦٩٥٧ - ٦٩٥٩.

(٢٤) انظر: غريب الحديث ١١٨/١.

وقريباً من معنى هذا الحديث تمثيل النبي ﷺ المؤمن بالسنبلة فروى عنه ﷺ قوله: "ومثل المؤمن كمثل السنبلة تستقيم مرَّة وتخر مرة"(٢٥)، مما يدل على مرونته وابتلاءاته التي تمر عليه وينجو منها بلا همٍّ أو نكد، ومثل ﷺ المؤمن بالريشة التي تتحرك مع الرياح حيثما حركتها فقال: "مثل المؤمن كمثل ريشة بفلاة تقلبها الريح"(٢٦)، فهو هين لين مرن، فضرب المثل بهذه الأشياء يجتمع على هذه الحقيقة التي تجمع بين هذه التشبيهات التي ضربت مثلا للمؤمن.

(١-٢-٣) **ضرب الأمثال بالشجر**: ويصور البيان النبوي الذي لا يحسن الغسل بصورة تجسد ذنبه ونتيجته، فعن ميمونة مولاة النبيﷺ قالت: قلت يا رسول الله: أَفْتِنَا في طهور الجنابة ؟ قال: "روّوا أصول الشعر، ومثل الذي لا يحسن الغسل منها كشجرة أصابها الماء من مكان بعيد، فلا ورقها نبت، ولا هي رويت"(٢٧)، فهكذا مثل الذي لا يروى أصول شعره في غسله، ولا يحسن غسله فلا ينتفع به.

(١-٢-٣-١) **ضرب الأمثال بظل الشجرة**: ويمثل النبي ــ ﷺ ــ علاقته بالدنيا وصلته بها: في الحديث الذي يروى عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "مالي وللدنيا ؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل

---

(٢٥) أحمد في المسند ٣٤٩/٣، مجمع الزوائد ٣٩٥/٢، إتحاف السادة المتقين ٥٩٥/٨ الدر المنثور، ١٥٢/٣.

(٢٦) مجمع الزوائد ٢٩٥/٢، إتحاف السادة المتقين ٣٠٣/٧.

(٢٧) إسناده ضعيف: أخرجه الطبراني في الكبير ٣٦/٢٥ رقم، ٦٤، وأبو الشيخ في الأمثال في الحديث النبوي (رقم ٣٣٩).

راكب قال في ظل شجرة في يوم حار ثم راح وتركها"(٢٨) فيصور ــ ﷺ ــ علاقته بالدنيا، وأن حياته الدنيا حياة مؤقتة، وفترة انتقالية، ويمثلها بمثال مألوف من البيئة، وبخاصة لذلك الرجل الذي يقطع الصحراء بدابته، فإذا اشتد علّيه الحر وآذاه، أو تعب من طول السفر آوي إلي شجرة كي يستظل بظلها ويستريح ساعة، ثم إذا نال بُغْيَتَهُ من الظلِّ، واسترد نشاطه من التعب، قام مَرَّة ثانية قاصداً دابته حاملاً عليها متاعه مغادراً ذلك المكان، فكذلك المؤمن ينبغي أن يكون هكذا في الدنيا، أو هكذا مثّل النبي ــ ﷺ ــ نفسه في علاقته بالدنيا، ليست علاقة دوام وأبدية وَمُتْعَة ومُقَامٍ، إنما علاقة مؤقتة يكتفي فيها بالضروريات. وهكذا كان ــ ﷺ ــ ينصح أصحابه بأن تكون علاقتهم بالدنيا هكذا علاقة الضروريات، فعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال:أخذ رسول الله ــ ﷺ ــ بِمَنْكِبِي فقال:"كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابر سبيلٍ"(٢٩) بهذه العبارة الموجزة الموجّهة استطاع النبي ــ ﷺ ــ أن يمثل لنا صورة الدنيا الفانية التي ينبغي أن تكون علاقة الإنسان بها علي أساسها، فالدنيا مؤقتة منتهية حتما بالموت، والانتقال إلي الدار الآخرة الباقية، وحال الإنسان بها مشابه بحال الغريب الذي يعيش في غير بلده مستحضراً غربته مرتقباً دائماً لحظة ارتحاله، وعودته إلي بلد إقامته واستقراره، فكل من الغريب وعابر السبيل غير متعلق قلبه بالمكان الذي يعيش به، فكذلك

(٢٨) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي برقم ٢٩٧، وأخلاق النبي صلي الله عليه وسلم، والترمذي ٤٨/٧، وابن ماجه ١٣٧٦/٢ برقم ٤١٠٩. والطبراني في الكبير ٢٠٠/١٠-٢٠١ رقم ١٠٣٢٧ وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤٣٩، وأحمد في المسند ٣٩١/١.

(٢٩) رواه البخاري كتاب الرقاق (٦/٤٦) باب كن في الدنيا كأنك غريب. ٢٣٢/١١.

ينبغي أن تكون علاقة المؤمن بالدنيا، وضحها بهذا المثل البين الواضح أمام العيان.

(١-٢-٣-٢) ضرب الأمثال بالثمار والزهور من الأشجار: فيمثل ـ ﷺ ـ المؤمن قارئ القرآن مظهراً أثر القرآن في نفسه، وأثر الإيمان فيه. وموضحا أثر ضياع الإيمان وضياع القرآن في صورة ماثلة أمام الإنسان يستطيع أن يدركها بحاسة من حواسه الخمس.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:"مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيّب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الحنظل ليس لها ريح وطعمها مر"(٣٠) فمثّل الأيمان بحلاوة الطعم للثمرة، وقراءة القرآن بطيب الرائحة، فمن اجتمعت له الفضيلتان، اجتمعت له الخصلتان، ومن أوتي واحدة كان نصيبه بقدر ما اكتسب من الخصال. فالمؤمن قارئ القرآن طيب الطعم والرائحة، ويقرب الصورة بالمذوقات والمشمومات، فمثاله من الأطعمة مثل الأترجة، ثم المؤمن الذي لا يقرأ القرآن معدنه طيب، ولكن أثر القرآن ورائحته لم يظهرا عليه، فمثله كالتمرة حلوة الطعم أما الريح فلا يشم منها.

وأما المنافق فخبيث الباطن، وإذا قرأ القرآن أعطاه ريحاً طيبة ظاهرة؛ فهو مثل الوردة طيبة الريح، فإذا أردت أن تتذوقها وجدت طعمها مُرا لا يؤكل، فلا يُستفاد من الوردة بالذوق، ولكن يستفاد منها بشم ريحها، وأما المنافق الذي لا

(٣٠) رواه البخاري في مواضع من صحيحه منها: في فضائل القرآن، باب: إثم من راءي بقراءة القرآن أو تآكل به أو فجر به ٩/١٠٠ .

يقرأ القرآن فهو مر الطعم خبيث الداخل والخارج فمثله كمثل هذا النبات الذي يخرج في الصحراء؛ الحنظل مر الطعم ولا ريح له، فلا تظهر له طيب رائحة ولا يُستفاد منه بحلاوة طعم، وهذه النباتات كلها موجودة في البيئات البدوية أو الزراعية التي صوّر النبي صلى الله عليه وسلم منها بأمثلة في تمثيله، لِتُقَرِّبَ المعني إلي العقول، حتى تفهم تأثير القرآن وأثره في نفس قارئه، وتظهر نعمة الإيمان على صاحبها.

ويضرب ــ ﷺ ــ للناس مثلا عند ظهور الفتن بأفضلية موت المؤمن عن حياته؛ لأن بها أراذل الناس، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، ضاربا المثل الذي يُظهر ذلك ويبينه، فعن أبي هريرة عن النبي ــ ﷺ ــ قال:"لَتُنْتَقَنَّ كما يُنْتَقَي التمر من الحُثَالَة فليذهبن خياركم وليبقين شراركم، فموتوا إن استطعتم"([31]) فيصور انتقاء الموت للأفاضل من الناس حتى لا يتبقى إلا شرار الخلق؛ بانتقاء الإنسان التمر من الإناء، فيأخذ أفضله، ويبقي في النهاية الحثالة، وهى التمر الرديء لا يهتم به الإنسان لرداءته، فهكذا يكون انتقاء الناس بالموت، ولا يبقي إلا أراذلهم، فمن يريد أن يكون من هذه الحثالة، ولذا جاء التعقيب على المثل، فموتوا إن استطعتم.

(١-٣) **بيئة الأنهار والمياه العذبة:** يضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بصور توضح ما يريد بأشياء من بيئة الأنهار والمياه العذبة، وإن كانت بيئة الأنهار لم يعشها النبي صلى الله عليه وسلم فهي لا توجد في الجزيرة

([31]) أخرجه البخاري في التاريخ ٢٥ وابن ماجه ١٣٤٠/٤ رقم ٤٠٣٨ الترمذي في كتاب الأمثال في الكتاب والسنة صـــ٣٤٤ رقم ٢٩٣.

العربية، ولكن جاء ضرب المثل بها مما يدل على صلاح الدين لكل بيئة فيصور النبي صلى الله عليه وسلم بصور من بيئات عاشها ومن بيئات لم يعشها، ويضرب الأمثال بأشياء يستطيع من لم يعش البيئة أن يتخيل ما يمثل به.

يصور النبيﷺ الصلوات الخمس وأثرها بمثال حسي، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: "أرأيتم لو أنّ نهراً بباب أحَدِكُم يَغْتَسِلُ فيه كلّ يومٍ خَمْسَ مرَّاتٍ، هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا: لا، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا "(٣٢).

فالصلوات الخمس تطهر الإنسان من الذنوب كما يطهر النهر من يغتسل فيه خمس مرات في اليوم، فلا تبقى له سيئة كما أن المغتسل لا يبقى على جسده شيء، بل يمحو الماء ما على الجسد، وقبل أن تجتمع القاذورات على جسده يزيلها بالغسل، وهكذا الصلوات تفعل في الخطايا التي يرتكبها الإنسان.

قال ابن العربي: "وجه التمثيل، أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه، ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تُطَهِّر العبد من أقذار الذنوب حتى لا تُبقي له ذنباً إلا أسقطته"(٣٣) فضرب المثل بأثر الصلاة ومحوها الذنوب بمثال حسي.

وجدنا معظم هذه الأحاديث ترد في ثوب ضرب الأمثال، ولا ترد في شكل واحد ولكن ترد طبقا لمتطلبات دقيقة بيانية، فلفظة مثل لا يصرح بها في كل حديث في هذا القالب التشبيهي فقد يعتمد على الكاف؛ ليربط بين المتشابهين اللذين يوضح أحدهما الآخر، و يجمع بين (الكاف، ومثل) وهنا اعتمد على الصيغة

---

(٣٢) رواه البخاري، في الصلاة (٥٢٨) باب الصلوات الخمس كفّارة ١١/٢.

(٣٣) شرح النووي ٩٥٦/٢.

(فذلك مثل)، وقوله: فذلك: جواب شيء محذوف، أي: إذا تقرّ ذلك عندكم فهو مثل الصلوات.....إلخ.

المتأمل في تركيب الصورة التشبيهية يلاحظ أن هذه الصورة تفصح تماما عن المقصود منها قبل أن يكون هناك شعور بأنه تصوير تمثيلي إذ: نقل المشبه به من المخيلة إلى الواقع المرئي، فجعل هذا الواقع المرئي ملاصقا لباب المنزل.

وانتفاء الصفة التي تتعلق بالتشبيه، وتساعد على الربط بين المشبه والمشبه به.

وتقرير المستمعين بالثمرة المرجوة من وراء المشبه به في تلك الهيئة.

قوله: (أرأيتم) تحول المتلقي من تأملاته المعنوية إلى إنسان مفتوح العينين، يرى بهما ما يقع أمامه من أحداث، وما يدور فيها من مواقف، فيجمع شتات ذهنه ويخلص سمعه وعقله لكل ما يلي ذلك.

تحديد النهر بصفتين سيقتا لبيان وظيفته هنا، فليست الصلاة تشبه النهر على إطلاقه، ولكنها تشبهه وهو على هيئة ملاصقته لباب الإنسان فهو قريب منه ليس بينه وبينه حائل؛ كما أن الصلاة عبادة قريبة من المسلم لا تحتاج واسطة فهي تؤدى في كل مكان تيسر وعلى أي هيئة؛ فتقييد النهر مقصود ليؤدي وظيفته البيانية، إيقاع فعل محو الخطايا، يبرز الخطايا في صورة مادية فينقلها من المعنويات المجردة إلى الماديات المحسوسة فيبرز المعنوي في صورة المحسوس.

ضرب الأمثال بأرض نزل عليها المطر فيضرب لهم النبي ـ ﷺ ـ المثال من البيئة، ويمثل النبي ـ ﷺ ـ أثر القرآن الكريم في القلوب فعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: "إن مثل القرآن والناس كمثل الأرض والغيث بينما الأرض ميتة هامدة، إذ أنزل الله الغيث فتهتز ثم يرسل

الله الرياح فتربوا ثم لا يزال الله يرسلُ حتى تَبْذُر ثم تُنْبِتُ، ويَتِمَّ نباتها فَيُخرِجُ الله ما فيها من زهراتها ومعايش الناس فيها، وكذلك فعل الله بهذا القرآن والناس"(٣٤) فيمثل ـ ﷺ ـ كيفية إحياء القرآن لقلوب الناس بصورة من الزرع والنبات الموجود بين الناس وبصورة مألوفة لديهم حتى يستطيعوا فهمها استيعابها.

(١-٣-٢) **تمثيل الصحابة في الرؤيا** عن سالم بن عبد الله في رؤيا النبي ـ ﷺ ـ في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، قال:"رأيت الناس اجتمعوا، فقام أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم قام عمر بن الخطاب فاستحالت غَرْباً، فما رأيت عبقرياً من الناس يفري فرية، حتى ضرب الناس بعطنٍ"(٣٥)، ففي هذا الحديث تمثيل في الرؤيا، وتمثيل للأفعال بأمثلة تدل عليها علي أرض الواقع، حيث إن تمثيلها بالخلافة.

ويصوّر ـ ﷺ ـ ما ينبغي على العالم أن يقوم به فيكون قائما بحدود الله فينفع نفسه وينفع غيره بمنعه عن الوقوع في حرمات الله، وهذه وظيفة العلماء كما يمثلها ـ ﷺ ـ بقوله: "إنما مثل العالم كمثل ينبوع من ماء يسقي بلده ومن مرَّ به، كذا العالم ينتفع به أهله بلده ومن مرَّ به"(٣٦)

---

(٣٤) إسناده ضعيف رواه أبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٤٩ وكنز العمال ١/ ٤٨٨.

(٣٥) في المثل (جاء يفري ويَقُدُّ) ويقال هذا للرجل إذا جاء يعمل عملاً مُحكماً، أي يفعل الفعل العجب، انظر جمهرة الأمثال ٢٥١/٣ والمثل في جمهرة الأمثال ١/٢٥١-٢٥٢، ومجمع الأمثال ١١٩/١، ولسان العرب (فرا). والحديث ذكره أبو هلال، في جمهرة الأمثال، والترمذي رقم ٢٢٨٩ من طريق موسى ابن عقبة، وأبي هريرة.

(٣٦)رواه الترمذي في: الأمثال من الكتاب والسنة صـــ٣١.

ويضرب المثل للمنافق في تذبذبه بصورة أظهر وأوضح فقال صلى الله عليه وسلم: "مثل المنافق مثل رجل في نهر يسبح فيه، فلما بلغ أن يقطعه نودي من الجانب الآخر، فرجع إلي ذلك الصوت، ثُمَّ نودي من ههنا فأجاب، ثُم رجع فبينما هو في تردُّده إذ علا آذيٌّ وهو الموج فغرَّقه "(٣٧) فتردده سبب في هلاكه كما هو حال هذا السابح في النهر لا يستقر إلي قرار ولا يصل إلي فريق من الفريقين، ولكنه يهلك نفسه غير مستقر إلي أحد الفريقين: المؤمنين أو الكافرين.

فضرب النبي صلى الله عليه وسلم الأمثال بالبيئة الزراعية بنباتاتها وبيئة الأنهار العذبة التي لا توجد في الجزيرة العربية ولكنها صور يفهمها من لم يعش هذه البيئات ويدرك مغزاها من عاشها، مما يدل على أن رسالة الإسلام عالمية، ولم يبعث النبي صلى الله عليه وسلم في القوم الذين عاش بينهم فحسب، بل هي دعوة عالمية، وإلا فما حاجته لضرب المثل بشيء غير موجود في بيئته؟!.

(١-٤-٠) البيئة البحرية:

لم يهمل النبي – ﷺ- البيئة البحرية في تصويره التمثيلي، بل وجدنا البحار بسفنها، وغير ذلك مما يخص الحياة البحرية له حضور في تصوير رسول الله – ﷺ- التمثيلي.

البيئة البحرية، حيث يوجد فيها أشياء قد لا توجد في البيئة البرية، وللحياة فيها تقاليد، وسنن ونواميس معينة، وظف منها النبي ـــ ﷺ ـــ جانبا منها لتوصيل المعلومة التي يود إيصالها بطريق مختصر واضح مفيد، يفهمها الذي يعيش في البيئة البحرية، ويستوعبها من يعيش الحياة البرية، فلم تتعمق في أشياء خاصة لا

(٣٧) الأمثال من الكتاب والسنة، للترمذي صـــ٥٣-٥٤.

يفهمها إلا من عاشها، ولكن أخذ ملامح تكون قريبة من قلب الذي يعيش في البحر، ويفهمهما من يعيش في البر.

(١-٤-١) ويمثل النبي ـ ﷺ ـ أثر المعاصي علي حياة الأمة، وأثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ علي يد العاصي بقوله ـ ﷺ ـ في الحديث الذي يرويه عنه النعمان بن بشير رضي الله عنه: "مثل القائم علي حدود والواقع فيها، كمثل قوم استَهمُوا علي سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها استقوا من الماء مَرُّوا علي مَنْ فوقهم، فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خَرْقاً، ولم نُؤْذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا علي أيديهم نجوا ونجوا جميعاً" ([٣٨])، فالحادثة يحتمل فرضيتها، ويضرب بها الرسول ـ ﷺ ـ المثل لتقريب الأمور وإيضاحها للأذهان، كما يحتمل بأنها حدثت فعلاً وليس هناك ما يمنع حدوثها لهؤلاء القوم، ومع هذا فاحتمال حدوثها في المستقبل أمر قائم، وتتضح من الشخصيات ومن هم أسفلها، فالذين في أسفلها فكَّروا في عدم المرور علي الذين في أعلاها للاستسقاء، ففكروا في هذه الحيلة التي يستطيعون بها الحصول علي الماء بسهولة ويسر، ودون إيذاء من فوقهم، ولم يفكروا في أن خرقهم سيأتي علي إهلاك السفينة وغرقها وهلاك كل من فيها([٣٩]) ويظهر النبي ـ ﷺ ـ الحالة النفسية لكل من الفريقين، فهناك صراع نفسي داخلي، فقوم يلزمهم الماء الذي هو

([٣٨]) رواه البخاري في الشركة (٦) باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه وفي الشهادات (٢٠) باب: القرعة في المشكلات ٥/٢٩٢ -٢٩٣.

([٣٩]) انظر: الأقصوصة في البيان النبوي د. متولي محمد البساطي (ندوة مؤتمر الأدب الإسلامي بآداب عين شمس صـ٣، ٤.

ضرورة الحياة وقوامها، وقوم ربما وقفوا لهم مانعين، وبدلاً من أن يلتقي الفريقان عند نقطة واحدة مشتركة، يبحثون عمَّا ينفعهم معاً يحدث شرخ في علاقتهم، وظهرت فكرة فريق أسفل السفينة بالفساد والإفساد ولابد لفريق الصلاح أعلي السفينة أن يأخذ علي أيديهم ويمنعهم، وإلا فالمصيبة عامة علي الجميع، و ضرب الأمثال به العظة الهادفة إلي الحرص علي إقامة حدود الله كي ينجو الإنسان ويُنْجي مجتمعه.. وبيان وجود الفرق الثلاث في المثل المضروب، أن الذين أرادوا خرق السفينة: بمنزلة الواقع في حدود الله، ثم من عداهم:إما منكر وهو القائم، وإما ساكت وهو المدهن.... فكهذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها أقيمت عليه، وإلا هلك بالمعصية، والساكت بالرضا بها(٤٠).

وبضرب المثل السابق نفسه أظهر به ــ ﷺ ــ علاقة القائم علي حدود الله والواقع فيها. يبين ــ ﷺ ــ أن ذلك يتأكد في حق الأمراء والحكام فينبغي النصيحة لهم وإرشادهم، وإلا كان الهلاك عامًّا ومؤكَّداً، فيبرزه ــ ﷺ ــ في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال سمعت النبي صلي الله عليه وسلم:"مثلي ومثل الأمراء كمثل قوم ركبوا سفينة فأصاب رجل منهم مكاناً، فقال يا هؤلاء طريقكم وممركم عليَّ، وإني ثاقب هاهنا ثُقْباً فاستقي وأتوضأ، وأقضي فيه حاجتي؛ فإن هم تركوه هلك وأهلكهم وإن أخذوا علي يده نجا ونجوا"(٤١)، وهذه رواية أخرى لحديث المدهن في حدود والواقع فيها وهي تخصّ تقويم الأمراء ونصيحتهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر وإن لم يفعلوا ذلك فمصيبة وقوع الأمير في طريق السوء عامَّة لأنه ولي أمر، يأمر وينهي فإن

(٤٠) انظر فتح الباري ٥/٢٩٤-٢٩٦.

(٤١)التخريج السابق.

لم يجد من يقف في وجهه طغى وتكبر؛ ويمثل النبي ـ ﷺ ـ مثل فعله هذا بخرق السفينة، الذي يغرق الجميع، وقد اختار النبيﷺ هذه الصورة من الواقع الملموس القريب إلى أذهان من يستمع إليه، وأضفى عليها من الحركة ما نفخ فيها روح الحياة فإذا بسفينة، ونزاع يدور فيها، وانتهاء المتنازعين إلى تقسيم السفينة، وتجنب أحد الفريقين الاحتكاك بالآخرين، واتبع وسيلةً لذلك خرق السفينة، الذي يئول بالجميع إلى الهلاك، حيث لا معارض لهم في أسفل السفينة، فهم أسفلها ولا يريدون أن يمروا على من فوقهم، دون أن يلقوا بالا إلى ما يمكن أن ينشأ عن ذلك الحل القاصر من كوارث تتهدد الجميع، ومن ثم يتحتم على من في العلو أن يتدخلوا وإلا هلكوا جميعا، ومن هنا يرشد النبي ﷺ إلى إرساء المبدأ بأن مصلحة المجموع مقدم على ما يتعارض معها من أي رغبة أو مسلك فردى.

(١-٥-١) المهن الحرفية:

من حدادة ونجارة... وغيرها، والأعمال الحرة، من بيع وشراء، للأطعمة أو أشياء يحتاجها الإنسان، لم يترك النبي ـ ﷺ ـ في تصويراته هذه البيئة التي تمثل جانبا من جوانب الحياة، فأتى منها بأمثلة تقرب الصور إلى الذهن.

يظهر النبيﷺ مكانة جلساء الإنسان وتأثير مخالطتهم عليه فعن أبى موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: "مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك، وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك: إما تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد: يحرق بيتك، أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثة"(٤٢).

---

(٤٢) رواه البخاري في البيوع ٣٨ باب: في العطار وبيع المسك ٣٢٣/٤، وفى الذبائح والصيد ٣١ باب: المسك ٦٦٠/٩ وفى رواية أبى أسامة: (كحامل المسك، ونافخ الكير، .إما أن يحذيك أو أن تبتاع منه)، ورواه مسلم ٢٠٢٦/٤.

ويظهر النبي ــ ﷺ ــ مكانة جلساء الإنسان وتأثير مخالطتهم عليه فعن أبي موسى الأشعري عن النبي ــ ﷺ ــ قال: "مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك، وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك:إما تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد: يحرق بيتك، أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثة"(٤٣) فمثل النبي ــ ﷺ ــ الجلساء وتأثير مخالطتهم علي مُجَالِسِهِم بالنفع أو بالضَّرر، فالمجالس السيئ ضار لمجالسه، والمجالس الصالح نافع لمجالسه، كما أن نافخ الكير يضرّ من يجلس معه إما بإحراق ثوبه أو بدنه أو أبسط شيء استنشاقه الهواء الملوث برائحة الكير، فتختلف درجة الضرر بحسب قربك، وحرصك وتوقيك، ولكن في النهاية تُصابُ بالضرَّر قل أم كثر.

أما الجليس الصالح كمجالسه صاحب المسك كله منافع، إما أن تشتري أو تهدي، أو تَشُمّ الرائحة الطيبة فمجالسته كلها منافع، فالحديث يحمل ترغيباً في مجالسة من يُنْتَفَعُ بمجالسته من الجلساء الصالحين، وترهيباً من مجالسة من يُتَأذيّ بمجالسته في الدين والدنيا من جلساء السوء، وجسَّد ضرب الأمثال المُقَرِّب الحقيقة للعقول بما ه ظاهر في بيئتهم قال ابن حجر: وفي الحديث، ضرب المثل، والعمل في الحكم بالأشباه والنظائر"(٤٤)

(٤٣) رواه البخاري في البيوع ٣٨ باب: في العطار وبيع المسك ٤/٣٢٣، وفي الذبائح والصيد ٣١ باب: المسك ٩/٦٦٠.

(٤٤) فتح الباري ٤/٣٢٤.

(١-٥-٢) العمارة في تصوير النبي ﷺ:

حيث يوظف النبي الكريم صور المعمار والبناء، لتوصيل فكرة إلى المستمع وتوضيحها له، ومن ذلك ما يمثل النبي ﷺ نفسه موضحاً مكانته بين الأنبياء:

عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: "مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَاراً فَأَتَمَّها وَأَكْمَلَهَا إلا موضعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونها وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ : لَوْلا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، قال رسول الله ﷺ: فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنة، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الأَنْبِيَاءَ"(٤٥).

صور ﷺ ذلك الرجل وهو يبنى الدَّار بلبنات متراصة متكاملة، إلى أن اكتمل البُنْيان وحسن، ولم يتبق إلا موضع لبنة واحدة، بها يتم البنيان، الذي يروق عين كل من نظر إليه، إلا التفات نظره إلى موضع تلك اللبنة فيقول: (لولا موضع اللبنة) حتى يتم الحسن ويكتمل، وهكذا امتنع كمال الإعجاب لوجود موضع اللبنة الناقصة، هذه الصورة واقعية تقع للناس في حياتهم، عندما ينظرون لجمال عمارة البناء ويعجبون بها.

ينقل النبي ﷺ إلى تشبيه نفسه بهذه اللبنة المتبقية، قال ابن حجر العسقلاني: "قيل المشبه به واحد، والمشبَّه جماعة، فكيف صحَّ التشبيه ؟ وجوابه؛ أنه جعل الأنبياء كرجلٍ واحد، لأنه لا يتمُّ ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكلِّ،

(٤٥) رواه البخاري، في المناقب (٣٥٣٥، ٣٥٣٤) باب خاتم النبيين ٥٨٨/٦.، ورواه مسلم في الفضائل (٥٨٥٣)، باب ذكر كونه خاتم ﷺ الأنبياء، ٢٥٢/٧.، وبألفاظ أخرى رقم ٥٨٤٩ - ٥٨٥٣ عن أبى هريرة وجابر، ورواه الترمذي، في الأمثال (٢٨٦٢)، باب: ما جاء في مثل النبي ﷺ والأنبياء قبله ١٤٧/٥، ...وغيرهم.

وكذلك الدار لا تتم إلا باجتماع البنيان"(٤٦)، التي بها يكتمل بنيان النبوة والرسالة، المكون من لبنات الأنبياء والرسالات، حتى ختمهن جميعاً وأتمهنّ النبيﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين.

ويمثل ـ ﷺ ـ الفتن ومن يقع فيها من الناس فيروي عن النواس بن سمعان الكلابي عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: "ضرب الله صراطاً مستقيماً، وعلي كتفي الصراط سوران لهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور وداع يدعو من فوقه، والله يدعو إلي دار السلام " فمثل ـ ﷺ ـ من يقع في الفتن بهذه الصورة الماثلة أمام الأعين.

وفي المسند والترمذي من حديث النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:"إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلي كنفي الصراط سوران لهما أبواب مُفَتَّحة، وعلي الأبواب ستور مُرْخاة، وعلي باب الصراط داع يقول: أيها الناس ! ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعرجوا، وداع يدعوا من فوق الصراط، من فوق الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: وَيْحَكَ لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تَلِجْهُ، فالصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر، والداعي علي رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم"(٤٧)فيعطي النبي صلى الله عليه سلم التمثيل، ويفسره بوضع المقابل لأجزاء تمثيله، وذلك بعد أن يعطي الصورة الكلية للتمثيل؛ حتى تفهمه العقول ويقرب

---

(٤٦) فتح الباري ٦/٥٥٩.

(٤٧)أعلام الموقعين ١/٢٣٢-٢٣٣.

إليها أكثر ولا يبعد عنها؛ فليتأمل الإنسان قدر هذا المثل وليتدبره حق تدبره، ويزن به نفسه، وينظر أين هو منه.

(٣-٢) وقد يأتي تمثيل النبي صلى الله عليه سلم في الرؤيا بذكر مثله في صورة تقربه مثله للأذهان؛ مثل هذا الحديث:عن جابر بن عبد الله قال:"جاءت ملائكة إلي النبي صلي عليه وسلم وهو نائم، فقالوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُم هَذَا مَثَلاً، قالوا: فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلاً، قالوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بني داراً وَجَعَلَ فِيهَا مأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيا فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّار وَأَكَلَ مِنَ الْمأْدُبَة، فقالوا: أوّلوها لَهُ يَفْقَهُهَا، فقال بعضهم: إنَّه نائم، وقال بعضُهم: إن العَيْنَ نائِمَةً وَإِن الْقَلبَ يَقْظَانَ، قالوا: الدَّار: الجنة، والدَّاعي: محمد ـ ﷺ ـ، فمن أطاع محمَّداً فقد أَطَاعَ الله، ومن عَصَي مُحمداً فقد عَصَي الله، ومحمَّد فرقٌ بين الناس"(٤٨).

وهكذا تمثل صورة النبي ـ ﷺ ـ وأعماله ومكانته وهديه بكافة الطرق والوسائل التمثيلية المقربة للأفهام والعقول، فمرة يضرب النبي المثل "مثلي ومثل الأنبياء..."، ومرة يكون الله تعالى هو الذي يضرب المثل "ضرب الله صراطا..."، ومرة تكون الملائكة "فاضربوا له مثلا..."، فنوّع في نسبة المثل في الأحاديث كما في الأحاديث السابقة.

والأمثال في ذلك كثيرة، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. قال: قال رسول الله عليه وسلم:"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا "(٤٩) فيمثل

---

(٤٨) رواه البخاري، في الاعتصام (٩٠) باب (٢): الاقتداء بسنة النبي ٢٤٩/١٣.

(٤٩)رواه البخاري في الأدب، باب:رحمة الناس والبهائم رقم (٦٠١١) ٤٣٨/١٠ ورواه مسلم في الأدب، باب:البر والصلة والأدب، وباب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم ٦٤٣٦-٦٤٦٧)٦٧٠-٦٧٦.

فيمثل ـــ ﷺ ـــ علاقة المؤمن مع أخيه المؤمن بالعضو في جسم الإنسان، ويبين تأثير الفرد في حياة الجماعة مهما كان شأن الفرد صغيراً، وذلك للحفاظ علي سلامة الفرد والمجتمع علي حد سواء؛ لأن إهمال الأمر الحقير قد يؤدي أحياناً كثيرة إلي الخطر الكبير، فيظهر العلاقة بين المؤمنين، ويؤكد عليها بأكثر من تمثيل، فعلاقة المسلمين بعضهم مع بعض كعلاقة لبنات البنيان مع بعضها، فكل منهم يكمل صاحبه ويعتمد عليه ولا يستغني عنه، كمثل البنيان الذي يتكامل بجميع لبناته، بهذا يمثل ـــ ﷺ ـــ الصلة القوية التي تربط المسلمين بعضهم بعضاً بتماسك لبنات البناء بعضها مع بعض.

(١-٥-٣) بيئة الأعمال وما يتصل بها:

بيئة رجال الأعمال والإجارة والعمل، حيث يكون فيها الأغنياء والفقراء، وأرباب العمل والعمال، ويكون فيها توزيع الرواتب والأجور، وتوزيع الأعمال وأوقاتها.

مثل النبي ﷺ الأمة الإسلامية بمقارنتها بالأمم السابقة في مضاعفة الأجر لها يوم القيامة، فعن ابن عمر ـــ رضي الله عنهما ـــ وغيره أن رسول الله ﷺ قال: "إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجل استعمل عـــمَّالاً فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط ؟ فعملت اليهود، ثم قال: منْ يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر؟ فعملت النصارى، ثم قال من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين، فأنتم، فغضبت اليهود والنصارى، فقالوا: مالنا أكثر أعمالاً وأقل عطاءً، قال: هل نقصتكم من حقكم قالوا: لا، قال: فذاك فضلي أوتيه من أشاء"(٥٠). فالمثل مضروب للأمة مع نبيهم والممثل به الأجراء مع من استأجرهم(٥١).

---

(٥٠) رواه البخاري في الإجارة (٩٨) باب: الإجارة إلى نصف النهار، وباب: والإجارة إلى صلاة العصر ٤/٤٤٤-٤٤٦ وفى الأنبياء (٢٤٩) باب: ما ذكر عن بنى إسرائيل ٦/٤٩٥=

(٢-٠) ضرب الأمثال بأشياء تخص من يشارك الإنسان على وجه الأرض: (من نبات، أو حيوان، أو طير، أو هوام، أو حشرات...)

(٢-١) المطر وتأثيره في الأرض التي ينزل فيها:

المطر صورة طبيعية تحدث في كل مكان من الأرض، ويظهر ردة الفعل تجاه الأرض التي نزل بها هذا المطر؛ فالمطر الذي ينزل من السماء واحد، ولكن الاختلاف في تقبل الأرض له.

يُقرِّب النبي ﷺ لنا فهم تَقَبُّل الناس لدعوته وهَدْيِهِ الذي أرسله الله به، في ضرب الأمثال الذي يذكره في هذا الحديث الذي ورد لنا عن أبى موسى الأشعري، عن النبيﷺ أنه قال: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيثٍ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانتْ مِنْها طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَت المَاءَ فَأَنْبَتَت الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكت المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بها الناسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصَابَ طَائِفَةً مِنهَا أُخْرَى، إنَّما هي قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً ولا تُنْبِتُ كَلأً. فَذَلِكَ مَثَل مَنْ فَقُهَ في دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَع بِذَلِكَ رَأساً، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الذي أُرْسِلْتُ بِهِ "(٥٢).

= وفى فضائل القرآن (١٧) باب: فضل القرآن على سائر الكلام ٦٦/٩ وفى التوحيد (٣١) باب: قول الله تعالى { تؤتى الملك من تشاء - ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً} ٤٤٦/١٣ (٤٧) باب: قوله تعالى: { فأتوا بالتوراة } ٥٠٢٩/١٣ ورواه الترمذي في الأمثال من الكتاب والسنة: ٣٨ ـ ٣٩، عن جنادة، وروى مثله عن طريق أبى موسى الأشعري، انظر ابن حبان ١٧٣/٩، وانظر مسند أحمد ٦/٢.

(٥١) انظر فتح الباري ٤٤٦/٤

(٥٢) رواه البخاري في العلم (٢٠) باب: فضل من عَلِمَ وَعَلَّمَ ١٧٥/١، ومسلم، في الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبيﷺ من الهدى والعلم رقم ٢٤٤/٧-٢٤٥ واللفظ له...وغيرهم.

يصوِّر النبي ﷺ الناس ويقسمهم إلى ثلاثة أقسام في درجات الهداية والعلم ومدى تقبلهم له ومدى استفادتهم منه، فقسمتهم إلى، أولا: العالم العامل المعلم، وثانيا: العالم المعلم الذي لا يعمل بعلمه، وثالثا: الذي لا يتقبل العلم ولا يعمل به ولا ينقله إلى غيره، فيضع لهم صورة تمثلهم وهي مدى استفادة الأرض من المطر الذي ينزل من السماء ومدى تقبلها له، فالمطر النَّازل من السماء واحد، ولكن الاختلاف في قبول الأرض له، وماذا يستفاد به، ويذكر الغيث ولا يذكر المطر، لأن المطر منه نافع وضار، وإنما الغيث هو النافع فقط من المطر الذي يأتي على قدر الحاجة، لأن هدي الله نافع ولا يوجد فيه ضرر، وعدم تقبل النفس له يكون عيبا في النفس وليس لعيب في الدين، وفى لفظ "أصاب أرضا ": أي موضع الصواب ووقع في المكان المرجو وقوعه فيها، ولم يقل وقع على أرض، والأرض انقسمت تجاه المطر إلى ثلاثة أنواع:

الأول: أرض خصبة طيِّبة صالحة؛ أنبتت النبات وأصبحت به مُخْضَرَّة، وعادت بأوجهِ الخير الذي يراد منها.

الثاني: أرض جَدْبَاء، ولكنها تُمْسِكُ الماء فلا يفلت منها؛ فهي تنفع الناس في أن يستقوا منها الماء.

الثالث: أرض خبيثة فلا ينتفع أحد منها بشيء؛ فهي لا تُنْبِتُ كَلأً ولا عشبا ولا نباتاً، وكذا لا تمسك ماءً.

فشبَّه النبي ﷺ أنواع الناس وأصنافهم في تقبل دعوته، بهذا المثال المحسوس بتقبل الأرض للمطر فهي أنواع مختلفة، وانقسمت إلى هذه الأنواع الثلاثة، وكذلك الناس تجاه وحى الله وهدايته ودعوته، يقفون مثل هذه المواقف الثلاث من دعوة الرسول ﷺ.

فَمِنَ النَّاس من: يَتَفَقَّه في الدين ويتعلمه ويعمل به، وينتفع بما تعلَّم، ويتأسَّى به غيره، فهؤلاء الذين فُقِّهوا في الدين ونفعهم الله برسالة النبي ﷺ، وهم الذين قال الله عنهم: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات}(٥٣) فهذه الصفة النافعة.

ومن النَّاس من يحفظ العلم فَيعلَمُ ويَعُلِّم الناس، فيساعد في نشر العلم.

ومِنَ الناس مَنْ لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل الدعوة بأي طريق، وهو ضد الفريق الأول، وعبر عنه ﷺ بقوله: لم يرفع بذلك رأسا، وفى رفع الرأس شموخ وعلو ورفعة شأن، ومن لم يقبل هدى الله لم يرفع رأسه وفى طأطأة الرأس صغار وذلة ومهانة، وهى مقابلة لقوله تعالى: {يرفع الله الذين آمنوا منكم...}.

فهؤلاء مثالهم في تَقَبُّلِ الأرض للماء وموقفها منه، فالناس متفاوتون في تقبل الهدى والعلم، كما تتفاوت الأرض حين تستقبل الغيث من السماء فعرض الرسول ﷺ حقيقة الهُدى والعلم في هذه الصورة المحسوسة الرائعة التي تهزّ الوجدان، وتحرك المشاعر لما تموج به من حركة وحياة، وارتباط نفسية الإنسان بكل ما هو حسي مألوف، فكما أن الماء يُحْيِى الأرض بعد موتها، كذلك هدى الله يُحْيِى القلوب بعد موتها، والمطر تشتد حاجة الناس إليه ليغيثهم من القحط، كذلك بعثة النبيﷺ وهدى الله يُخْرِج الناس من الظلمات إلى النور، وكما يهبط الغيث على التربة الصالحة فتهتز وتربو وتُنْبِتُ من كل زوج بهيج، وتُبْعَثُ فيها الحياة، وهكذا عندما يهبط الهدى والعلم على القلوب التي ران عليها الكفر، والعقول المظلمة بالجهل، فتبعث فيها روح الإيمان، وتتكشف ظلمتها بنور العلم، ويذوب الرَّان بقوة اليقين، يلاحظ أن الرسول ﷺ في هذا التمثل قد أومأ إلى المشبه ثم قدم المشبه به في الشكل الذي يكشف عن الأنواع الثلاثة، معتمدا على تجديد كل

(٥٣) المجادلة: ٥٨.

نوع ببيان خصائصه، بما لا يدع شيئا تتطلبه الصورة المقصودة إلا ذكره وأشار إليه.

ويمثل النبي ـــ ﷺ ـــ الأمة الإسلامية وخيريتها بين الأمم، وأنها دائمة الخير منذ بداية دعوة النبي ـــ ﷺ ـــ إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها فيقول ـــ ﷺ ـــ ممثلاً خيرية الأمة في أولها وآخرها: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ "مثل أمتي كمثل المطر، لا يدري أوله خير أم آخره"(٥٤) فالخير في الأمة دائم ومستمر مثل الغيث الذي يأتي بالخير فأوله خير، وآخره كذلك خير، وهذا من أبرز الأمثلة في البيئة العربية، فالأمة الإسلامية إن وجدت القائد المخلص الذي يقودها إلي بر الإسلام الحق، كانت خيرا وبركة للعالم.

(٢-٢) الحشرات الموجودة في البيئة ويشاهدها:

يذكرها النبي ـــ ﷺ ـــ ويقرب بها الصور التي تحتاج إلى إيضاح.

يمثل ﷺ وقع الذنوب على الإنسان وإحساسه بها فعن الحارث بن سويد حدثنا عبد الله – يعنى ابن مسعود حديثين أحدهما عن النبي ﷺ والآخر عن نفسه قال: "إن المؤمن من يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا، قال أبو شهاب بيده فوق أنفه، ثم قال: لَلَّه أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً وَبِهِ مَهْلَكَةٌ ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ، وقد ذهبت رَاحِلَتُهُ عليها

(٥٤) رواه الترمذي في الأمثال (٢٨٦٩)٨/١٧٠. والطيالسي في مسنده ص٢٧٠، واحمد في مسنده ٣/١٣٠، ١٤٣.وفي صحيح ابن حبان ٩/١٧٦ عن عمار بن ياسر، برقم ٢٣٠٧، وفتح الباري ٧/٢٦، وأبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي برقم ٣٣٠ – ٣٣١.

حتى اشتد عليه الحرُّ والعطش أو ما شاء الله، قال: أرْجِعُ إلى مكاني، فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده "([٥٥]) وفرح الله تعالى بتوبة عبده ورجوعه إليه فكرة معنوية يقربها لنا النبي ﷺ بهذا المثال الحسي، ويقص لنا هذه القصة التمثيلية؛ ليقرب الفكرة من أذهاننا ولتتضح في شعورنا، وتندمج شعورياً مع أحداثها؛ وجدان الراحلة بعد يأس. قال ابن حجر: "قال القرطبي في المفهم([٥٦]): هذا مثل قصد به بيان سرعة قبول الله توبة عبده التائب، وأنه يقبل عليه بمغفرته ويعامله معاملة من يفرح بعمله، ووجه هذا المثل أن العاصي حصل بسبب معصيته في قبضة الشيطان وأسره، وقد أشرف على الهلاك، فإذا لطف الله ووفقه للتوبة خرج من شؤم تلك المعصية، وتخلَّص من أسر الشيطان ومن المهلكة التي أشرف عليها؛ فأقبل الله عليه بمغفرته وبرحمته "([٥٧]).

فيذكر الذباب وسرعة طيرانه وخفته أثناء الطيران، وأثناء سقوطه على الأشياء، وسرعة طيرانه وخفته أثناء الطيران، وقد لا يؤبه له، لأنه حشرة ضئيلة الحجم خفيفة الوزن، فكذلك وقع المعصية على المنافق الذي لا يشعر بقلها ولا يأبه بها، كذباب أتى على أنفه فحرك يديه هاشا فهرب الذباب وتخلص منه، أما مثال المؤمن، وشعوره بالذنب بأنه كجبل، فالمؤمن يشعر بثقل المعصية، وكأنه لا يستطيع لها دفعا وكأنها مهلكته كما يقع الجبل على إنسان.

([٥٥])رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨) باب: التوبة ١٠٢/١١، ومسلم في التوبة (٦٨٢١) باب: الحصن على التوبة والفرح بها ٦٦/٨، وانظر نص الحارث بن سويد الي رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٧) ٦٥٨/٤، والنسائي في النعوت السنن الكبرى(التحفة ١٥/٧) ورواية أنس بن مالك ــ رضي الله عنه، رواها الدارمي ٢١٣/٢-٢١٤، وغيرها.

([٥٦])هو أحمد بن عمر بن إبراهيم أبو العباس الأنصاري القرطبي فقيه مالكي توفى بالإسكندرية سنة ٦٥٦ هــ، يعرف بابن المزين من كتبه (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم مخطوط في شستربتي رقم ٣٥٩٢ – ٤٩٣٨)، وله اختصار لصحيح مسلم.

([٥٧])فتح الباري ١٠٦/١١.

ويمثل النبي ــ ﷺ ــ هواية قلوب المؤمنين اللجوء إلي المدينة المنورة بأرض الحجاز بقوله فيما روي عن كثير بن عبد الله بن عمر وبن عوف عن أبيه عن جده، أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال: "إن الدين ليأرز إلي الحجاز كما تأرز الحيَّة إلي جحرها، ولَيَعقِلَنَّ الدين الحجاز معقل الأُروية من رأس الجبل "(٥٨) وورد في رواية عن أبي هريرة مرفوعاً: "إن الإيمان ليأرز إلي المدينة كما تأرز الحية إلي جحرها"(٥٩).

(٢-٣) الحيوانات:

ويمثل النبي ــ ﷺ ــ حال أعرابي معه أتاه ليسأله وحدث موقف بينه وبينه يذكره أبو هريرة فيقول:

"جاء أعرابي إلي النبي ــ ﷺ ــ فقال: يا مُحمد أعطني، فإنك لا تعطي من مالك ولا من مالك أبيك، وأغلظ للنبي ــ ﷺ ــ، فوثب أصحابه فقالوا: يا عدو الله تقول هذا لرسول الله ــ ﷺ ــ ؟ فقال: عزمت عليكم لما أمْسَكتُم فدعاه فدخل بيته فأعطاه، فقال أرضيت ؟ قال: لا. ثم أعطاه أيضاً فقال: أرضيت ؟ قال: لا، ثم أعطاه الثالثة، فقال: أرضت ؟ قال: نعم، قال: فاخرج إلي أصحابي فأخبرهم أنَّك رضيت، فإن في قلوبهم عليك شيئاً، ثم قال رسول الله ــ ﷺ ــ: "أتدرون ما مثلي ومثل هذا الأعرابي ؟، مثل رجل في فلاة من الأرض، معه زاده وراحلته، فنفرت راحلته فاتَّبعها، فما زادوها إلا نفوراً، فقال: دعوني فإني

---

(٥٨) إسناده ضعيف رواه أبو نعيم في الحلية ١٠/٢

(٥٩) رواه البخاري في الحج (١٨٧٦) باب: الإيمان يأرز إلى المدينة، ٩٣/٤، ومسلم في الإيمان (٣٦٧)باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا، وابن ماجه في الحج (٣١١١)باب:فضائل المدينة ١٠٣٨/٢، وأبو الشيخ في كتاب الأمثال في الحديث النبوي صـ٣٣٦

أعلم بناقتي منكم، فعمد إلي قُمام الأرض يعني الحشيش فجعل يقول: هوي هوي، حتى رجعت فأناخها فحمل عليها زاده، ثم استوي علي متنها، فلو تركتكم حين قال ما قال، فقتلتموه دخل النار، فمازلت حتى فعلت ما فعلت وقال ما قال "(٦٠).

ويمثل النبي ـ ﷺ ـ المؤمن بأمثلة تبرز صفاته ومعدنه فمن هذه الصور تصوير النبي ـ ﷺ ـ له بأنه رجَّاع إلي الحق أوَّاب إليه توَّاب إلي الله، فشبهه بهذه الصورة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ـ ﷺ ـ: "مثل المؤمن ومثل الإيمان كمثل فرس علي آخيته يجول ثم يرجع إلي آخيته، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلي الإيمان"(٦١) فمثَّله بالفرس المشدود إلي مكان ثابت، وهو الإيمان فَلَوْ سها أو لها، رجع إلي الله قال تعالي { إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون}(٦٢) أي إن لحظة ضعف أو سهو، أفاق بعدها مباشرة ورجع إلي الإيمان المتمسك به كأنه مربوط إليه مشدود مثل هذا الفرس واختار النبي ـ ﷺ ـ، الفرس في ضرب الأمثال بكرم أصله ولافتخار العرب بها. ولتوفره في جزيرة العرب إذ هي من أسرع وسائل الاتصال عندهم، وعليها تكون حروبهم وكرهم، وفرهم رصيدهم قال تعالي: { والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة}(٦٣) فالفرس العربي ملازم وصاحب، وحياة الفرس وعاداته

---

(٦٠) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي رقم ٢٥٧ واللفظ لُه، وأحمد في المسند ٢/٢٨٨ برواية أخري.

(٦١) إسناده حسن، أخرجه الترمذي في: الأمثال من الكتاب والسنة صـ٥٣ وأحمد في مسنده ٣/٣٨، ٥٥، والبيهقي في شعب الإيمان باب ٧٤ ومجمع الزوائد ١٠/٢٠١، وشرح السنة للبغوي ١٣/٦٩،

(٦٢)الأعراف ٢٠١.

(٦٣) النحل ٨.

وأصنافه وأنواعه محفورة في ذهن العربي لطول المعاشرة والصحبة، فهذه الصورة التي اختارها النبي ـ ﷺ ـ واعتمد عليها ممثلاً بها، إنما هي واضحة كلّ الوضوح في ذهن العربي، والصورة بضرب الأمثال أصبحت قريبة بالمعهود المحسوس.

فالمؤمن يعيش مع الأحداث مؤمناً بقضاء الله وقدره، فهو كما روي عن النبي ـ ﷺ ـ : "عليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد " "المؤمن هين لين كالجمل الأنف، إن انقيد انقاد، وإن أنيخ علي صخرة استناخ"(٦٤) فهو كالجمل الذي يشتكي أنفه؛ مذلل مطيع في ليونة ويسر، - ما لم يؤمر بمنكر -.

أما من يعين على الظلم فيمثله بصورة المتردي في البئر فعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، قال: قال رسول صلي الله عليه وسلم:"مثل الذي يُعينُ قوماً علي الظُّلْمِ مثل البعير الذي يَتَرَدَّي في الرَّكيِّ يَنْزِعُ بِذَنَبِهِ"(٦٥) فيصوره بهذا الفعل للحيوان الذي لا يستطيع أن يفعل شيئا ولكنه أدخل نفسه فيما لا يعنيه؛ فهو يضر نفسه فقط.

عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلي الله عليه الصلاة والسلام:"أن رجلاً كان فيمن قبلكم، استضاف قوماً فأضافوه، ولهم كَلْبَة تنبح، قال: فقالت الكلبة:

---

(٦٤) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ١٦/١ رقم ٤٣، وخرجه أبو الشيخ (٢٠٦) و العقيلي في الضعفاء ٢/ ٢٧٩، والألباني في الصحيحة (٩٣٧) وفي معناه المؤمن يألف ويؤلف سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٤٢٧).والأنف: الذي يشتكي أنفه.

(٦٥)أمثال في الحديث الرامهرمزي رقم (٦٤)، والحاكم في المستدرك ١٥٩/٤، وأحمد ٣٠٣/١-٤٠١ الجامع الصغير ١٥٤/٢

والله لا أنبح ضيفَ أهلي الليلة.قال: فعوى جراؤها في بطنها فبلغ ذلك نبياً لهم، أو قيلاً لهم فقال: مثل هذه مثل أُمة تكون بعدكم يقهر سفهاؤها حلماءها، ويغلب سفهاؤها علماءها"(٦٦) فهذا مثل في استعلاء السفهاء وتطاول الأشرار، فعندما سكتت الكلبة ولم تعو على الأضياف فعل ذلك الجراء الصغار سفها وطيشا، وهذا تمثيل لتقريب الفهم إلى العقول، بأن أفعال السفهاء غير منطقية وغير مرضية من كل ذي عقل ولب.

وفي آخر الزمان حينما تظهر علامات قيام الساعة الكبرى يصور النبي ـ ﷺ ـ هلع الناس وذعرهم، ويمثل أمته المتمسكين بهديه، عند ظهور الدَّابة فروي عن سلمان قال: سمعت رسول الله صلي عليه وسلم يقول:"مثل أمتي ومثل الدَّابة حين تخرج كمثل حَيْز حين بني فرفعت حيطانه، وسُدَّت أبوابه، وطُرِح فيه من الوحش كلها، ثم جيء بالأسد فَطُرِح وسطها، فانذعرت، فثملت إلي النفق تلحسه من كل جانب، كذاك أمُتي عند خروج الدَّابة، لايَفِرُّ منها أحدٌ إلاَّ مَثَلَتْ بين عينيه: إنها سلطان من ربّها عظيم"(٦٧) وضرب الأمثال يوضح ثبات المتمسكين من الأمة علي الحق وقت ذعر الناس وخوفهم، وقد مثلها النبي ـ ﷺ ـ بضرب المثل هذا يُظْهِرُ مكانة أمته بين الأمم.

(٦٦) رواه أحمد ٢/١٧٠، مجمع الزوائد ١/١٨٣، ٧/٢٨٠، أمثال الحديث الرامهرمزي صـــ١٠٠ رقم (٦٠)، الجراء:جمع جرو وهو ولد الكلبة، السفه:نقيض الحلم وهو في معني الجهل وأصله التنقص في العقل، ويستعمل في بذاءة اللسان ورفث القول.

(٦٧) إسنادم لا بأس به، رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم (٣٤٤) وكنز العمال(٣٨٨٨١).

ويمثل ـ ﷺ ـ قلة المسلمين في الناس، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:"ما أنتم في الأمم إلا كشعرة سوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود، ولن يدخل الجنة إلا مؤمن"(٦٨) فيمثل ـ ﷺ ـ المسلمين يوم القيامة فيقول في الحديث الذي يرويه عنه ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: "أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكُفَّار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض"(٦٩) فقلة المسلمين بالنسبة لعدد الكفار كقلة الشعر الأبيض في الثور الأسود، أو أن المسلمين واضحون في مكانهم ولو كانوا قلة، فهم مميزون بأعمالهم، فأعمالهم تظهرهم، فمثل ـ ﷺ ـ ذلك بصورة من البيئة يفهمها المستمعون.

ويمثل صلى الله عليه وسلم بعض الأعمال والأخطاء التي قد يقع فيها بعض الناس بما يعطي تمثلا لجزائها فعن جابر: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم "ما جلس قوماً مجلساً فتفرقوا، ولم يصلوا علي النبي صلي الله عليه وسلم إلا كأنما قاموا علي أنتن من الجيفة"(٧٠) فيمثل من يجلس مجلسا لا يصلي يه

---

(٦٨) وروي عن أبي هريرة في البخاري ١٧٨/١٤، وعن أبي سعيد النجاري ١٩٦/٧، ٥٧/١٠، ١٨٢/١٤٢، ومسلم ٩٧/٣، والنسائي وعن عمران بن حصين عن الترمذي ١١/٩، وأبو الشيخ برقم ٢٨٢، وزواه البخاري في الرقاق ١٧٧/١٤، بألفاظ مختلفة.

(٦٩) رواه البخاري في الرقائق (٦٥٢٨) باب الحشر ٣٧٨/١١ والإيمان والنذور (٦٦٤٢) باب كيف كان يمين النبي صلي الله عليه وسلم ٥٢٥/١١، ورواه مسلم في الإيمان (٥١٨-٥٢١) باب كرن هذه الأمة نصف أهل الجنة ١٠٩٣/١-١٠٩٦.

(٧٠)رواه أبو الشيخ في كتاب الأمثال في الحديث النبوي صـ ٣٢٢، ٢٧٣ وأخرجه الطيالسي في مسنده ص٢٤٢ والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم ٥٨ قال القسطلاني، رجاله رجال الصحيح علي شرط مسلم (راجع فيض القدير ٤٠٥/٥، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١١٩/١، وذكر لها شواهد، من ص: ٧٤-٧٩.

على النبي صلى الله عليه وسلم بمن يأكل الجيفة وهي الميتة، فطعامها قذر، لا يسمن ولا يغني من جوع، وليست به فائدة، وهكذا كل مجلس لا يتخلله ذكر الله أو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

عن سالم عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:"الناس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة"(٧١) أي أشباه كالإبل المائة.

فهو خير لنفسه وأهله وغيره فمثله ـ ﷺ ـ بالساقي؛ أما من لا يتعلم العلم ولا يعلم أحدا فيمثله النبي ـ ﷺ ـ بأمثلة أخري فيقول ـ ﷺ ـ:"مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدِّثُ به كمثل الذي يكنز "(٧٢)، أما الذي يتعلم ويبلغ شرَّ ما سمعه، أو ليس عنده حكمة في التبليغ فيمثله بالحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال:"مثل الذي يجلس فيسمع الحكمة ثم لا يُحَدِّث إلا بِشَرِّ ما يسمع، كمثل رجل أتي راعياً، فقال:يا راعي أجزرني شاة من غنمك، فقال له: اذهب فَخُذْ بِأُذُنِ خَيرِ شاة، فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم "(٧٣) فعلي المتحدث أن يتخير خير ما سمع، أو ما يدلل علي مقصده، أما من يكون تخيره أسوا ما سمع، فهو مثل ذلك الرجل الذي يمثله النبي ـ ﷺ ـ في هذه القصة، فمثله مثل ذلك

---

(٧١) رواه البخاري في الرقاق (٣٥) باب رفع الأمانة ٣٣٣/١١ ونصه:(الناس كإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة) ٦١٨/٧. والترمذي في الأمثال من الكتاب والسنة صـ٥١ باب: ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله ١٥٣/٥، والبغوي في شرح السنة ٣٩١/١٤ رقم ٤١٩٥.

(٧٢) مجمع الزوائد ١٦٤/١، الترغيب والترهيب ١٢٢/١ - كشف الخفاء مزيل الالتباس ٨٥/٢ مشكاة المصابيح ٢٨٠.

(٧٣)أحمد ٣٥٣/٢، ٤٠٥، ٥٠٨، ابن ماجه ١٣٩٦/٢ رقم ٤١٧٢، الأمثال في الحديث النبوي رقم (٢٩١)، البيهقي ٤١٧٢ كشف الخفاء ٢٧٧/٢.

الرجل الذي أساء الاختيار، وترك الغنم، وأخذ كلب الغنم: أسوأ ما فيها ولا يؤدي مقصده.

عن سمرة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:"مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين فيخرج وله حصاص حتى إذا انبهر وأعيا قالت الأرض: يا ثعلب أديِّني ديني، فيخرج وله حَصاصٌ، حتى إذا عَيي وانبهر انقطعت عُنُقُهُ ومات"(٧٤) وإنما خُصَّت الأرض بهذا المثل لأن أحداً لا مهرب له منها، وخُصَّ الثعلب بضرب الأمثال لروغانه واعتياصه علي صائده.

أما صاحب القرآن الذي صاحَبَه وألفه -وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن متعاهداً لتلاوة القرآن حذراً من نسيانه - فقد مثله ـ ﷺ ـ تمثيلاً يظهر ما ينبغي عليه من الحرص عليه.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ـ ﷺ ـ قال: "إِنَّمَا مَثَلُ القُرْآنِ كَمَثَلِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَة، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْها أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ"(٧٥) وهذا تمثيل يظهر تفلُّت القرآن من صدور الرجال ما لم يُتعهد، فمثَّله ـ ﷺ ـ بالإبل المعقَّلة التي يرعاها ويحفظها، فإن أطلقها وأهملها ذهبت وضاعت وتركته، فكما ينبغي علي صاحب هذه الإبل الاهتمام بها وتعاهدها، ليحفظها، هكذا ينبغي لحافظ

---

(٧٤) أمثال الحديث الرامهرمزي (٧١) ورواه ابن كثير في التفسير ٤/٢٢٥، ٢٦٥

(٧٥) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب:استذكار القرآن وتعاهده برقم (٥٠٣١) ٩/٧٩ النسائي، في، الصلاة باب: الأمر بتعهد القرآن برقم (٨٠٨) ٣/٢٢٦ والنسائي في الصلاة في المجتبي) باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٤ وفي فضائل القرآن، باب مثل صاحب القرآن صـــ٥٩ رقم (٦٦) وأحمد ٢/٢٣، ٣٠ وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٢٣.

القرآن، وفي نفس المعني يقول ــ ﷺ ــ: "بئسما لأحدهم يقول:نسيتُ آية كَيْتَ وكَيْتَ، بل هو نُسِّي، استذكروا القرآن فَلَهُو أشد تَفَلُّتاً من صدور الرِّجال من النعم بعُقُلِها"(٧٦) وهكذا يصور ــ ﷺ ــ تفلت القرآن من صدور الرجال بهذا المثال الحسي حاثا على متابعة حفظه ومراجعته وعدم نسيانه، كما أن صاحب الإبل الحريص عليها يتابعها، وإلا فقدها ولم يجدها لتفلتها منه

ويصور النبي ــ ﷺ ــ الدنيا فيقول: "مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب"(٧٧)فيمثل الدنيا في عدم قيمتها ونتنها وهوانها على الله وعلى من يعرف قيمتها مثل الميتة المنتنة، في صورة تتقزز منها الأنفس السوية وهى صورة أكل الكلاب منها، أي يصور تكالب الناس على هذه الدنيا بتكالب الكلاب على الجيفة المنتنة، وهى صورة مقززة للنفس معطية تصوراً زريا لمن يتكالب على الدنيا على الرغم من دناءتها.

ويمثل النبي ــ ﷺ ــ المنافق بصورة شائنة تظهر موقفه وتبين مثله في هذه الدنيا فعن ابن عمر عن النبي ــ ﷺ ــ قال: "مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلي هذه مرة وإلي هذه مرة [لا تدري أهذه تتبع أم هذه]"(٧٨)

(٧٦) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب: استذكاره وتعاهده برقم (٥٠٣٢)٩/٧٩ ومسلم، كتاب الصلاة، باب: الأمر بتعهد القرآن برقم (١٨١) ٣/٢٢٧ والترمذي، في القراءات، باب: فاستذكروا القرآن فلهو أشد تقصياً.... برقم (٢٩٤٢) ٥/١٩٣ والنسائي في الصلاة (في المجتبي) باب: ما جاء في القرآن ٢/١٥٥ وفي اليوم والليلة عن عمر بن موسى.

(٧٧)الدرر المنتثرة، للسيوطي صــ٨٥.

. العائرةُ: المترددة الحائرة لا تدري لأيهما تتبع، ومعني تعير: أي تردد وتذهب (انظر: شرح النووي لمسلم ٨/١٧٤).

فمثله كمثل هذه الشاة التي بين الغنمين لا هي مع هؤلاء ولا هؤلاء فهي تريد أن تكون مع الفريقين جميعاً فخسرتهما جميعاً، أي لا هي من هؤلاء ولا هؤلاء، وكذلك المنافق ممقوت من المؤمنين، وغير مرضي عليه من الكافرين والمشركين.

ويمثل النبي ـ ﷺ ـ علاقة الرعية مع الأمراء بأن يأخذوا أفضل ما عندهم، مظهرا ذلك في هذه الصورة التي استقاها من البيئة المحيطة فعن عوف بن مالك قال: قال النبي ـ ﷺ ـ: "هل أنتم تاركي لي أمراي ؟ فإنما مثلكم ومثلهم، كمثل رجل اشترى بعيراً وإبلاً فرعاها ثم أوردها فأشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدرته، فصفوة أمرهم لكم، وكدره عليهم"(٧٩) فأعطي ـ ﷺ ـ هذا المثال، بأن معصية الأمير إن كانت خاصة بنفسه، ولا يتعدى ضررها ذاته لا نُؤمر بالتنقيب عن داخلياته، وإنما أفعاله التي تفيد عباد الله، وهو المسئول عن نيته وعن عمله الذي لا يؤثر علي أحد، فمثل الذي يفعل معهم مثل البعير الذي يشرب صفو الماء ويترك كدره لغيره، فكونوا ممن يشرب صفو الماء فكأن ضرب الأمثال يحث علي هذا الفعل بأن نأخذ خيرهم ونتقي شرهم.

---

(٧٨)رواه مسلم في التوبة (٦٩٠٥) باب: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٧٣/٨ وفي رواية:(مثل الشاة بين الرعيتين)، إن جاءت هذه الغنم نطحتها، وإن جاءت علي هذه نطحتها) رواه الترمذي في الأمثال من الكتاب والسنة صـ٥٣-٥٤ وأحمد ١٠٢/٢ والبيهقي باب: ٥٧ من شعب الإيمان وأبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي صـ٣٧٣ رقم ٣٢١ والرامهرمزي في الأمثال رقم(٤٥) وبرواية أخري في النسائي في الإيمان، باب: مثل المنافق باب [تكر إلي هذه مرة، وفي هذه مرة]١٢٤/٨

(٧٩)رواه أبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي رقم (٢٩٩) والطبراني في الكبير ٤٩/١٨ رقم ٢٠٥٧

فعن ابن عباس عن النبي ـــ ﷺ ـــ قال:"مثل الذي يرجع في صدقته كالكلب يقيئ ثُمَّ يعود في قَيْئته فيأكله"(٨٠) مظهرا مذمَّة الفعل وقبحه بهذه الصورة التي لا تستساغ في عرف الناس، وهي مبالغة في الزجر كقوله ـــ ﷺ ـــ:"من لعب النردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه"(٨١)وهو تمثيل للذي يقترف هذا الفعل بمن غمس يده في لحم الخنزير ودمه حال أكله منهما، وهو تشبيه لتحريمه بتحريم أكلهما ويعطي هذه الصورة المقززة للنفس بضرب الأمثال الموحي.

أو كقوله ـــ ﷺ ـــ:"من لعب الميسر ثم قام يصلِّي، كمثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير، ثم قام فصلِّي، فيقول: قد يقبل الله صلاته "(٨٢)

فضرب الأمثال بالكلب والخنزير وأفعالهما وما يضاف إليهما من أفعال أوتصوير ما تأباه النفوس الكريمة ليوضح كبر المعصية ويصور قبحها في عرف الناس.

فعن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ: "مثل الرجل الذي يكون علي سنَّة من الإسلام ثمْ يفارقه ثم يندم فيتوب كبعير كان يعقله أهله، فينفر منهم مرَّة، ثم عقلوه وأحسنوا إليه كما كانوا يفعلون أوّل مرَّة"(٨٣).

---

(٨٠)رواه البخاري في الهبة (٢٦٢١) باب: لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته ٥/٢٣٤ ونصّه: العائد في هبته كالعائد في قيئه

(٨١) رواه مسلم في الشعر ٥٧٨٧ باب:تحريم اللعب بالنرشير٧/٢٠٥، وأبو داود في الأدب ٤٩٣٩ باب: في النهي عن اللعب بالنرد ٤/ ٢٨٥، وابن ماجه في الأدب ٣٧٦٣ باب: اللعب بالنرد ٢/ ١٢٣٨.

(٨٢)رواه الترمذي في الأمثال من الكتاب والسنة صـــ٤٤ وبرواية:مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقول فيصلي......)رواه أحمد ٥/٣٧، والبيهقي ١٠/٢١٥ مجمع الزوائد ٨/١١٣.

(٨٣)، رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم(٣٠٣).

أما الذنوب فإن النبي ــ ﷺ ــ يحذر منها ويظهر التحذير أكثر بما يُحقِّر، العبد من الذنوب؛ لأنه لاصغيرة مع إصرار، ثم إن الصغيرة تجتمع مع الصغائر فيصيرون كبيرة، وقد أظهر النبي ــ ﷺ ــ هذه الحقيقة في هذا التمثيل.

أما عن التقعر والتشدق بالكلام الذي ربما صور الحق في صورة الباطل، أو الباطل في صورة الحق فيصوره ــ ﷺ ــ بضرب المثل المزدري حيث يشبهه بالحيوان، ويصور بلاغته بصورة معينة لبقرة معروفة؛ فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ:"إن يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما يتخلل الأباقر"(٨٤) فشبه ــ ﷺ ــ الذي يظهر الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل لبلاغته وذلاقة لسانه، بالبقرة التي تخلل لسانها.

ويظهر ــ ﷺ ــ أن بعض لأفعال قد تكون لطبيعة الإنسان فعن يزيد بن الأخنس أن النبي صلي الله عليه وسلم قال:"لا تنافس بينكم، فقال رجل يا رسول الله أرأيت النجدة تكون في الرجل فيحسد عليها كما يحسد علي القرآن والمال قال: إن الكلب يهر علي أهله"(٨٥) فكما يهر الكلب وراء أهله لطبيعته، فكذا قد تكون النجدة في الإنسان طبيعة.

ويمثل ــ ﷺ ــ بعض المعاصي بتمثيلات تجعل الجلود تقشعر من سوء فعلها مثل الافعال التي تؤدي إلى العلاقة الآثمة التي قد تنشأ بين الرجال والنساء: فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ــ ﷺ ــ أنه قال: "مثل الذي

---

(٨٤)إسناده رجاله موثوقون رواه الترمذي ١٤٥/٨ وقال حديث حسن وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٨٨٠ وأبوداود ٣٤٨/٣ وأحمد ١٦٥/٢-١٨٧ وغيرهم، وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم (٣٠٢).

(٨٥)أبو الشيخ الأصبهاني رقم (١٩٩).

يجلس علي فراش المغيبة كمثل الذي ينهشه الأساود يوم القيامة"(٨٦) فمن يفعل هذا الفعل الذي يَجُرُّه إلي الوقوع في الإثم، وذلك بأن يدخل على فراش المرأة الغائب عنها زوجها، فربما وجد لذَّة في ذلك، مثله ـــ ﷺ ـــ كمثل الذي تنهشه أخبث الحيَّات وتؤلمه ويذوق العذاب من جرَّاء ذلك، فإذا تمتَّع الإنسان بلذَّة محرَّمة فليتذكر ألمه بعذابها وهي في الحقيقة عذاب وألم؛ فهذا مثالها وجزاؤها، وهو تصوير يجعل النفوس ترعوي من الوقوع في مثل هذا الخطأ.

ويمثل البيان النبوي أعمالا يقع فيها بعض الناس بما يعطي تمثلا لجزائها فعن جابر: قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ "ما جلس قوماً مجلساً فترقوا، ولم يصلوا علي النبي ـــ ﷺ ـــ إلا كأنما قاموا علي أنتن من الجيفة"(٨٧) فيمثل من يجلس مجلسا لا يصلي فيه على النبي صلى الله عليه وسلم بمن يأكل الجيفة وهي الميتة، فطعامها قذر، لا يسمن ولا يغني من جوع، وليست به فائدة، وهكذا كل مجلس لا يتخلله ذكر الله أوْ الصلاة على النبي ـــ ﷺ ـــ.

أما من يعين على الظلم فيمثله بصورة المتردي في البئر فعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، قال: قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ:"مثل الذي يُعينُ قوماً

---

(٨٦) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٢٢ ورواه عبدا لرزاق في مصنفه ١٣٩/٧، وأحمد ٣٠٠/٥ والطبراني في الكبير ٢٧٢/٢ رقم ٣٢٧٨، وانظر مجمع الزوائد ٢٥٨/٦.

(٨٧)رواه أبو الشيخ في كتاب الأمثال في الحديث النبوي صـــ ٣٢٢، ٢٧٣ وأخرجه الطيالسي في مسنده ص٢٤٢ والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم ٥٨ قال القسطلاني، رجاله رجال الصحيح علي شرط مسلم (راجع فيض القدير ٤٠٥/٥ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١١٩/١، وذكر لها شواهد ٧٤-٧٩.

علي الظُّلْمِ مثل البعيرَ الذي يَتَرَدَّي في الرَّكيِّ يَنْزِعُ بِذَنَبِهِ "(٨٨) فيصوره بهذا الفعل للحيوان الذي لا يستطيع أن يفعل شيئا ولكنه أدخل نفسه فيما لا يعنيه؛ فهو يضر نفسه فقط.

ضرب النبي ـ ﷺ ـ مثلاً للمتشدد في أمر الدين المبالغ في طلبه، حتى تملّ نفسه فيفرّط ويترك الواجب عليه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:"إن هذا الدينَ مَتِينٌ، فَأَوغِلْ فِيهِ بِرفق، فإنّ المُنْبَتَّ لا أَرْضاً قَطَعَ، ولا ظهراً أَبْقَي"(٨٩) فمثلاً بالرجل المسافر، الذي يُجْهِدُ دراسة في السير حتى تهلك من شدة التعب والأعياد فلا تستطيع أن تواصل المسيرة فيقف ويبقي حيراناً متقلاً بمتاعه ونفسه، لأن دابته قد هلكت، ولن يستطيع بلوغ المنزل، فلا هو سبق وبلغ منزله كما كان يود، ولا هو اعتدل في مشيه فبلغ منزله علي مهل وتؤده، ولا هو بقي ظهره، ففاته مقصوده من كل ناحية، فمثل النبي صلي ا لله عليه وسلم الذي يتشدّد في أمر الدين به، "فإن الله لا يمل حتى تملوا"(٩٠) تمثيل صورة بصورة، فإن المتشدد الذي يهلك نفسه في العبادة ستضعف قوته، أو تمل نفسه، فلن يستطيع مواصلة طاعته نفس النشاط الذي كان عليه، ولن يستمر في أداء الواجبات ولن تطيق نفسه الاستمرار، فلا هو أجهد نفسه إلي النهاية وفاز بالعمل الصالح، ولا هو أخذ الواجبات وبعض ما تطيق نفسه من الأعمال فيواظب عليها

---

(٨٨)أمثال في الحديث الرامهرمزي رقم (٦٤)، والحاكم في المستدرك ١٥٩/٤، وأحمد ٣٠٣/١-٤٠١ الجامع الصغير ١٥٤/٢ الركي: جنس للركية وهي البئر الصغيرة التي تحفر والجمع ركيّ وركايا (اللسان:ركى)النزع: قلعك الشئ من الشيء.

(٨٩) المنبت: بت الرجل في السير، جهد دابته حتى أعيت.

(٩٠)جمهرة الأمثال ٢٤/١ وهذا المثل يقال (لمن يبالغ في طلب الشيء ويفرّط حتى ربما يُفَوِّته علي نفسه).

"فأحب الأعمال إلي الله أدومها وإن قلّ" فقد وقف في وسط الطريق وقصّر في الواجبات بعد أن كان يحافظ علي المستحبات. ويمثل النبي ـ ﷺ ـ المعاصي ويظهر أثرها علي الفرد، ويظهر فضيلة التوبة والرجوع إلي الله فيمثل ذلك بمثال ظاهر يعرفه العرب جميعاً.

ثم يظهر هذا التشبيه بتمثيل آخر يوضحه ويزيد بياناً فيقول النبي صلي الله عليه وسلم: "مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان سبق أحدهما الآخر بأذنه"(٩١) فيظهر النبي ـ ﷺ ـ قرب قيام الساعة منه، وأنه علامة من علامات الساعة المتلازمة به كتلازم أصابعه بعضها ببعض. أو أنه والساعة كفرسي رهان، سبق هو، والساعة وراءه مباشرة، فيصور ـ ﷺ ـ قرب الساعة وتلازمها به بهذه التمثيلات الموجودة في البيئة، والملازمة لحياة الإنسان، ليقرب المفهوم للعقول، مصوراً مدي قرب قيام الساعة في عبارة موجزة، وتمثيل واضح، أظهر النبي ـ ﷺ ـ هذه الحقيقة البعيدة عن الأذهان، بهذا التشبيه الحاضر للعيان، فأبرز صورة قرب بعثته من قيام الساعة إبرازاً تمثل في إشارته بإصبعين من يده الشريفة، وقد يفهم من ضرب المثل هذا اتصال دعوته إلي قيام الساعة، فلا يفصل بينهما دعوة أخري، ولا رسالة غير رسالته فلا يفصل بينهما شيئا

ويصور ـ ﷺ ـ كتابة العلم للمحافظة عليه من الضياع والتفلت بتقييد الصيد أو الدواب فعن عثمان رضي الله عنه قال:"قيدوا العلم. قلنا وما تقييده ؟ قال: تعلموه وعلموه واستنسخوه فإنه يوشك أن يذهب العلماء ويبقي القراء لا يجاوز قراءة أحدهم تراقيه"(٩٢) فمثل المحافظة على العلم وحفظه من التفلت بتقييد الدواب، ونسيانه بتفلت الدواب.

---

(٩١) الأمثال من الكتاب والسنة للترمذي صـــ ٥٤، وانظر أحمد ٥/ ٣٢١.

(٩٢)رواه الترمذي في: الأمثال من الكتاب والسنة صـــ٤٢.

والمؤمن خفيف الظل، لين، طيبة نفسه وروحه حيث شبهه النبي ـ ﷺ ـ وضرب له المثل بالنحلة، فعن ابن عمر أن النبي ـ ﷺ ـ قال: "مثل المؤمن مثل النحلة، إن أكلت أكلت طيباً، وإن وضعت، وضعت طيباً، وإن وقعت علي عود نَخِرٍ لم تكسره، ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب، إن نَفَخْتَ عليها احمرَّت، وإن وزنت لم تنقص"(٩٣).

فالمؤمن لا يأكل إلا طيباً، ولا يصنع إلا طيباً، ولا يعمل إلا طيباً؛ فهو طيب وهو خفيف غير ثقيل ولا فدمٍ، وهذه الأشياء كلها طبيعة فيه لكرم أصله، فهو نقي السريرة صافي الجوهر، فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فالمؤمن معدنه طيب نقي مثل سبيكة الذهب الخالص التي لا يزيدها البلاء إلا وضوحا وجلاء، وهكذا المؤمن تظهره المواقف والإختبارات مثل السبيكة الجيدة من الذهب إذا أُلقيت في النار فلا تزيدها إلا نقاوة. ولكي يُقَرِّبُ ـ ﷺ ـ هذه الصفات مثلها لنا في صورة حسِّية مرئية لنا في صورة الفراشات التي تطير حولنا وفي صورة المعادن التي نتعامل معها ونراها ونتحلي بها فهو مثل النحلة التي تأكل من امتصاص رحيق الزهور الطيبة، فطعامها طيب وتضع العسل الذي فيه شفاء للناس، والنحلة خفيفة جداً؛ لدرجة أنها لو وضعت علي عود بال متفتت سهل كسره؛ لا يكسر بسبب وقوع النحلة عليه لخفة وزنها.

ويضرب مثلاً لَهُ في نقاوة أصله وصفاء سريرته بمعدن الذَّهب أرقي المعادن عند العرب، وليس أيُّ ذهب، بل الذهب الخالي من الشوائب، فإن وضع في النار احمرَّ ولم يفقد شيئاً لأنه نقي، وكذا المؤمن إن وضع في الشدائد تفاعل

---

(٩٣) رواه البيهقي، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير ٢/١٥٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٥٥.

معها وخرج منها نقياً من الذنوب، فعندما يخرج الذهب النقي من النار ثم يوزن لا ينقص؛ لعدم وجود شوائب به، وكذلك المؤمن إن وضع في شدة أو مأزق ثم خرج منها ازداد صلابة، ولم ينقص إيمانه بل رجع كما كان مؤمناً نقياً صافياً.

فقد مثلها النبي ـ ﷺ ـ بالحديقة المثمرة التي تُؤتي أكلها كلَّ حين بإذن ربها فقال ـ ﷺ ـ:"مثل أمتي كحديقة قام عليها صاحبها"(٩٤) فمثل الأمة مع قائدها المخلص الذي يرعاها بصاحب الحديقة الذي أولاها جل همه ووجه إليها كل طاقاته فصاحب الحديقة يرعاها و الحديقة لا تبخل بثمرها، فالمسلمون يملكون قيادة البشرية بخيريتهم وقرآنهم وسنة نبيهم، وهدي الله وتأييده لهم، فهم قوّاد البشرية وحياة الناس مرهونة بحياتهم وصلاحهم.

وهذا ما يمثله النبي ـ ﷺ ـ في طبائع الناس ومعاملاتهم فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الناس كشجرة ذات جني، يوشك أن تعود كشجرة ذات شوك، إن ناقدتهم ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، وإن هربت منهم طلبوك: قالوا: يا رسول الله: وكيف المخرج من ذلك ؟ قال: تقرضهم من عرضك ليوم فقرك"(٩٥).

ويمثل النبي ـ ﷺ ـ المرأة الحسناء في المنبت السوء بمثال من البيئة موضحا مثلها، عن ابن مسعود عن النبي ـ ﷺ ـ قال: "إيَّاكم وخضراء الدِّمن

---

(٩٤) كنز العمَّال (٣٤٥٧٠)

(٩٥)رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم (٣١١)، ورواه أبو يعلي، كما قال ابن حجر في المطالب العالية ١٥٢/٣ رقم ٣١٢٤، والطبراني في الكبير ١٤٩/٨ رقم ٧٥٧٥، وابن أبي شيبة في المصنف ٤٥٦/٣، وأحمد في الزهد صـ٣٦٧، . وإسناده ضعيف. (إن ناقدتهم ناقدوك: أي إن عبتهم واغتبتهم، قابلوك بمثله).

قيل:وما خضراء الدمن ؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء "(٩٦) مثل النبي ـ ﷺ ـ المرأة الحسناء في منبت السُّوء بخضراء الدِّمن وهي النبتة الخضراء الجميلة المنظر التي تنبت علي البعر والقاذورات، فإنها جميلة المظهر إلا أنها قد غذيت علي القاذروات وامتلأ جوهرها مما نبتت فيه، ولابد أن يكون لغذائها تأثير فيها، كذلك المرأة الحسناء التي تربي وتنشأ في منشأ سوء يروق ظاهرها، ولكنها تنزع إلي أصلها، وتربيتها ونشأتها الأولي أي لا تنكحوا المرأة لجمالها وهي خبيثة الأصل، لأن عرق السوء لا ينجب معه الولد.

والمؤمن يزداد مرونة وصلابة وقوة وتمسكاً واستبصاراً بالبلاء إذا أصابه؛ وبذا كثر تمثيل المؤمن بالذهب الجيد النقي الخالص الذي يتعرض للشدائد فلا تزيده إلا نقاوة، فعن عبد الله ابن عمرو قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده! إنَّ مثلَ المُؤمنِ كمثل القِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ نَفَخَ عَلَيْها صَاحِبَها فَلم يَتَغَيَّرْ ولم يَنْقُص، والذي نفس محمد بيده! إن مثل المؤمن كمثل النَّحلة أكَلَتْ طَيِّباً ووضعت طيبا ووقعت فلم تكسر ولم تفسد"(٩٧) فنرى كيف ضرب النبي ـ ﷺ ـ المثل للمؤمن بالمعادن النقية التي لا تؤثر فيها المصائب أو الابتلاءات، وإن كان من تأثير لهذه المصائب والابتلاءات فهي النقاوة لمعدنه وصفائه، ولا تزيدها إلا قوة وصلابة ونقاء، فحين يختبر المؤمن ويُبْتَلي يذهب خبثه ويبقي طيبه إن كان به خبث.

---

(٩٦) انظر: جمهرة الأمثال ١/٢٣-٢٢.

(٩٧) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٤٣، ورواه الرامهرمزي في أمثال الحديث رقم ٢٩، ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد:رجاله رجال الصحيح غير أبي سبرة، وقد وثق (مجمع الزوائد١٠/٢٩٥)، والحاكم ١٤/٥١٣ و١/٧٥ وصححه، ووافقه الذهبي.

فعن عبد الحميد بن أزهر عن أبيه قال: قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ:"العبد المؤمن خير تصيبه الحُمُّي والوعك، مثل الحديد يُلْقَي في النار فيذهب خبثها ويبقي طيبها "(٩٨) فالحديد إذا أُلْقِي في النار، ذهب خبثه ونُقِّيَ من الشَّوائب، كذلك المؤمن عندما يوضع في الصعوبات ينقي مما علق بنفسه من الشوائب. ويُكَفِّر عنه سيئاته، فيخرج من الشِّدَّة كيوم ولدته أمه،

فعن عائشة رضى الله عنها قالت:قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ: "إذا اشتكي المؤمن أخلصه ذلك كما يخلص الكير خبث الحديد "(٩٩) فشدائد الدنيا وابتلاءاتها في الأموال والأولاد والصحة وغير ذلك مما يخلص الإنسان المؤمن من الشوائب التي تكون قد علقت به لحب الدنيا أو المعاصي ارتكبها أو غير ذلك، فالابتلاءات للمؤمن كالنار التي توقد علي الحديد لتنقيته.

أما عن أصناف الناس وأنواعهم فهم مختلفون في الطباع وفي الكرم والأخلاق وغيرها فهم متفاوتون في نسب الخَلْق والخُلُقِ، ويصور النبي ـــ ﷺ ـــ الناس ممثلاً تفاوتهم بقوله في الحديث الذي ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ـــ ﷺ ـــ: "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنودٌ مُجَنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"(١٠٠) فمثلهم بالمعادن حيث تتفاوت المعادن في درجة نفاستها، وكذا الناس يختلفون في مواقفهم تجاه الحادث الواحد، ودرجة تقبلهم للأمر الواحد،

---

(٩٨) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم (٢٧٩).

(٩٩) رواه الرامهرمزي في كتاب أمثال الحديث ص١٢٧ رقم ٩٥.

(١٠٠) رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب (٦٥٨٥) باب: المرء مع من أحب ٧/٧٤٠-٧٤١، وأبو دواد في الأدب (٤٨٤٣) باب: من يؤمر أن يجالس ٤/٢٦٠.

(٣-٤) الطير

ويمثل ـــ ﷺ ـــ قلة عدد المؤمنين المخلصين وبخاصة من النساء فعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ: "مثل المؤمنة كمثل غرّاب أبقع في غربان كثيرة، أو قال الغراب الأعصم. قلنا يا رسول الله أَفْتِنَا فيهن. قال: إنَّ مِنْهُنَّ ما إن أُعْطِين لم يَشْكُرْن وإن لم يُعْطِينَ اشْتَكَيْنَ "(١٠١) فمثَّل ـــ ﷺ ـــ قلة عدد المؤمنات بقلة عدد الغربان العصم أو البقع فهي نادرة الوجود بين الغربان، وكذا المرأة المؤمنة الصادقة قليلة بين النساء.

ويمثل النبي ـــ ﷺ ـــ النساء بصورة تُقَرِّب طبائعهن من الفهم، فيصوِّر ندرة صلاح النساء بقوله ـــ ﷺ ـــ:"مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأبلق أو الأعصم"(١٠٢) فيمثل قلة الصالحات بقلة وجود الأغربة البلقاء وهي التي بها ألوان لأن الغالب علي الأغربة اللون الأسود، أما أن يري الإنسان غرابا أبلقا؛ فهذا نادر وشاذ على القاعدة، وهكذا المرأة الصالحة في النساء، وهذا ما يظهره ضرب المثل إذ يبرز أن صلاحهن أمر صعب جداً،

(٤-٠) ضرب الأمثال بما يلازم الإنسان: من أجزائه، أو طعامه، وشرابه، أو ثقافته، أو الظواهر الطبيعية الأخرى مثل السماء والأرض والمطر، وغيرها.

---

(١٠١) رواه الطبراني في الكبير ٢٣٧/٨ رقم ٧ /٧٨ وفي سنده ضعف، وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٣٨، وأحمد في المسند ١٩٧/٤، و٢٠٥/٤ برواية ثانية .

(١٠٢) مجمع الزوائد ٢٧٣/٤-٢٧٤-٣٠١، المطالب العالية ١٦٣٦، تذكرة الموضوعات ١٢٩ كشف الخفا ٤٢٤/٢، اللآلئ ٢١٣/٢ - الطبراني، كنز العمال ٤٥١٤٥ إتحاف ٣٥٨/٥.

(٤-١) أجزاء الجسد

ويظهر النبي ـ ﷺ ـ علاقة المؤمنين بعضهم ببعض ضارباً المثل الجسد الواحد، فهم جميعاً كأعضاء جسد واحد، يتألمون بألم أي عضو من أعضائه. فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد، إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر أعضاء الجسد بالسهر والحمي"(١٠٣) فالنبي ـ ﷺ ـ يمثل عظم حق المؤمنين بعضهم علي بعض، وصلتهم بعضهم بعض حتى تكون قائمة علي التراحم والملاطفة في غير إثم ولا مكروه، ويؤكد النبي ـ ﷺ ـ عليها بأكثر من تمثيل،

ويظهر النبي ـ ﷺ ـ عدم استغناء المسلم عن أخيه المسلم ضارباً الأمثال لذلك فيقول ـ ﷺ ـ:"مثل المؤمن وأخيه كمثل الكفَّين"(١٠٤)

وقوله:"مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين "(١٠٥) وقوله: "مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى"(١٠٦)

---

(١٠٣) رواه البخاري في الأدب، باب: تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً برقم (٦٠٢٦) ٤٤٩/١٠، ومسلم في الأدب (البر والصلة والأدب) باب: تراحم المؤمنين وتعاضدهم برقم (٦٤٦٢) ٦٧٤/٧، والترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم علي المسلم برقم (١٩٢٨) ٣٢٥/٤ وغيرهم

(١٠٤)كنز العمال ٧٢٨، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

(١٠٥) كنز العمال ٧٦٤، إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٧٤/٦، ٢٠٤ وفي رواياته: مثل المسلم وأخيه، إتحاف ١٧٤/٦، إتحاف ١٧٣/٦.

(١٠٦) إتحاف السادة المتقين ٢٠٤/٦، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي ١٥٦/٢

ويمثل ـــ ﷺ ـــ قرب قيام الساعة بتمثيل إشاري يراه البصر ويفهمه العقل ليظهر قرب قيام الساعة وارتباطها بمبعثه ـــ ﷺ ـــ؛ فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ـــ ﷺ ـــ قال: "بُعِثْتُ أنا والساعةَ كَهاتَيْن، ويشير بإصبعيه فيمدُها "(١٠٧)

فيظهر النبي ـــ ﷺ ـــ قرب قيام الساعة منه، وأنه علامة من علامات الساعة المتلازمة به كتلازم أصابعه بعضها ببعض. أو أنه والساعة كفرسي رهان، سبق هو، والساعة وراءه مباشرة، فيصور ـــ ﷺ ـــ قرب الساعة وتلازمها به بهذه التمثيلات الموجودة في البيئة، والملازمة لحياة الإنسان، ليقرب المفهوم للعقول، مصوراً مدي قرب قيام الساعة ففي عبارة موجزة، وتمثيل واضح، أظهر النبي ـــ ﷺ ـــ هذه الحقيقة البعيدة عن الأذهان، بهذا التشبيه الحاضر للعيان، فأبرز صورة قرب بعثته من قيام الساعة إبرازاً تمثل في إشارته بإصبعين من يده الشريفة، وقد يفهم من ضرب المثل هذا، اتصال دعوته إلي قيام الساعة، فلا يفصل بينهما دعوة أخرى، ولا رسالة غير رسالته فلا يفصل بينهما شيئا، ويشهد لهذا المعني قول رسول الله ـــ ﷺ ـــ: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله"(١٠٨) فالنبي ـــ ﷺ ـــ آخر الأنبياء، ودعوته آخر الرسالات، فلا نبي بعده ولا دين ينسخه، فهو مستمر إلي قيام الساعة ليس بين قيام الساعة وبينه أحد.

---

(١٠٧) رواه البخاري: الرقاق (٦٥٠٣) باب قول النبي صلي الله عليه وسلم (بعثت أنا والساعة ٤/٣٤٧ وفيه ثلاثة أحاديث عن سهل بن سعد وأنس وأبي هريرة بلفظ واحد أو متقارب ومسلم في الجمعة باب قرب الساعة، وأحمد ٤/٣٠٩، ٥/٩٢، ١٠٣-١٠٨.

(١٠٨) أحمد في المسند ٤/١٠١.

ويمثل النبي ـــ ﷺ ـــ بعض المدن والقرى بأمثلة توضح خصائصها، من ذلك ما روي عن أبي الدرداء قال: قلنا يا رسول الله أن أَمْرَ مني لعجب هي ضيقة، فإذا نزلها النَّاس اتَّسَعَتْ، فقال النبي ـــ ﷺ ـــ: "إن مثَل منى مثل الرَّحم، هي ضيقة، فإذا صارفيه الولد اتَّسع" (١٠٩) فيمثل مني في خاصية جمعها الناس في أيّام النحر واتساعها لهم مثل الرحم الذي يدخل في الولد فيتسع ليستوعبه بلا كلفة، فيوضح ـــ ﷺ ـــ ما تعجبوا منه بمثال يفهمونه وإن كانوا لا يرونه ولكنهم يدركونه.

ويمثل النبي ـــ ﷺ ـــ بعض المدن والقرى بأمثلة توضح خصائصها، من ذلك ما روي عن أبي الدرداء قال: قلنا يا رسول الله أن أَمْرَ مني لعجب هي ضيقة، فإذا نزلها النَّاس اتَّسَعَتْ، فقال النبي ـــ ﷺ ـــ: "إن مثَل منى مثل الرَّحم، هي ضيقة، فإذا صارفيه الولد اتَّسع" (١١٠) فيمثل مني في خاصية جمعها الناس في أيّام النحر واتساعها لهم مثل الرحم الذي يدخل في الولد فيتسع ليستوعبه بلا كلفة، فيوضح ـــ ﷺ ـــ ما تعجبوا منه بمثال يفهمونه وإن كانوا لا يرونه ولكنهم يدركونه.

ويمثل النبي ـــ ﷺ ـــ الرؤيا ويظهر كيفية وقوعها بمثال حسيٍّ، فعن أبي قلابة مرفو قال: "مثل الرؤيا حين تُعبَّر كمثل رجل أمر أن يرفع إحدى رجليه ويضع الأخرى، فهو ينتظر متي يُؤْمَرُ بوضعها، فتستقر الرؤيا علي ما تعبرُ

(١٠٩)إسناده ضعيف رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي فيه من لم أعرفه، وراه أبو الشيخ في الأمثال في الحديث النبوي صـــ٣٠٦.

(١١٠)إسناده ضعيف رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي فيه من لم أعرفه، وراه أبو الشيخ في الأمثال في الحديث النبوي صـــ٣٠٦.

عليه، فلا يُحَدِّث إلا عالماً أو ناصحاً "([١١١]) فأعطى ــ ﷺ ــ مثالا لمن يعبر الرؤيا وأنها تقع على ما تعبر عليه ومثل ذلك بمثال واقعي يحسه الناس ويلمسونه وقد يطبقونه وذلك ليفهموا مقصوده من ذلك.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ:"يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسي الجذع أو الجذل في عينيه"([١١٢]) فصور عظم ذنبه بالجذع، ومثل ما يراه الإنسان من عيب في أفعال أخيه بالقذاة، لأن عمل أخيه أمامه أما عمله هو فلا يراه إلا بعين البصيرة، وبالرجوع إلى نفسه ومحاسبتها، فعلى الإنسان أن يرجع إلى نفسه ويحاسبها.

استخدم النبي ــ ﷺ ــ الحركات لتوضيح كلامه وتقريبه إلي أذهان المتسمعين من ذلك إشارته ــ ﷺ ــ بيده إشارة مُفْهِمَةً توضّح مقصوده فعن سهل بن سعد رضي الله عن النبي صلي اله عليه وسلم قال: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذا وأشار بإصبعيه السبَّابة والوسطي "([١١٣])

وعن جابر عن النبي ــ ﷺ ــ قال: "بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطي "[١١٤] فالإشارة بالإصبعين تعني المجاورة بين الشيئين

([١١١]) رواه الترمذي في كتاب الأمثال من الكتاب والسنة صـ٥٠.

([١١٢])رواه البخاري في الأدب المفرد ٤٨/٢ وأبو الشيخ الأصبهاني رقم (٢١٧)، وأبو نعيم في الحلبة ٩٩/٤.

([١١٣])البخاري في الطلاق باب: اللعان وقول الله تعالي:(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ٩م٤٣٩، وفي الأدب باب أفضل من يعول يتيماً ٣٦/١٠

([١١٤])رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٤٩) باب قول النبي صلي الله عليه وسلم:(بعثت أنا والساعة كهاتين)٣٤٧/١١. ومسلم في الفتن (٧٢٦٠-٧٢٦٥) باب:قرب الساعة ٤٠١/٨

المقارن بينهما فقربهما من بعضهما أو اقترابهما ببعضهما، كمجاورة واقتران بالإصبعين أحداهما مع الآخر، فهو يدل بالإشارة أن ما بينهما شيء يسير كما بين الإصبعين في الطول، أو أنهما مقترنين كاقتران الأصابع أحدهما بالآخر

وفي وصف يوم القيامة يصور النبي ـ ﷺ ـ ارتفاع العرق الذي يغوص في الناس يوم القيامة علي قدر أعمالهم.

فعن المقداد بن الأسود بن الأسود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: "تُدْني الشمسُ يَوْمَ القِيامَة مِنَ الخَلْقِ حَتَّي تَكُونَ مِنْهُم كَمِقْدارِ ميل"(١١٥)

قال سليم بن عامر: فوالله ! ما أدري ما يعني بالميل ؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين قال: "فيكون الناس علي قدر أعمالهم في العرق.فمنهم من يكون إلي كعبيه، ومنهم من يكون إلي ركبتيه، ومنهم من يكون إلي حقويه، ومنهم مَنْ يلجمه العرق إلجاماً قال: وأشار رسول الله صلي الله بيده إلي فيه"(١١٦) وإشارته ـ ﷺ ـ إشارة توضيح وتمثيل لما يغوص فيه الناس يوم القيامة، وتأكيد بلا تأويل، ومثلها أيضاً إشارته ـ ﷺ ـ علامة الفجر الصادق والتفريق بينها وبين الفجر الكاذب

والترمذي في الفتن(٢٢١٤) باب: قول النبي صلي الله عليه وسلم:بعثت أنا والساعة كهاتين يعني السبابة والوسطي ٤/٤٩٦.

(١١٥) رواه مسلم في صفة الجنة والنار (٧٠٦٦) باب في صفة يوم القيامة ٨/٢٦٩-٢٧٠ والترمذي في الزهد (٢٤٢١) باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص ٤/٦١٤.

(١١٦)

(٤-٢) أجزاء الإنسان

ويمثله أيضا قوله ــ ﷺ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلي الله عليه وسلم:"إن المرأة كالضلع، إذا ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركتها، استمتعت بها وفيها عوج"([117]) فالنبي ــ ﷺ ــ يصور ضعف عقولهن، وأنه لا يطمع في استقامتهن، فإن ذهبت تقيمها كسرتها، قيل: هو ضرب مثل للطلاق، أي إن أردت منها أن تترك اعوجاجها أفضي ذلك إلي فراقها، فيوحي ضرب المثل هذا إلى الحضّ علي ملاطفة النساء، والإحسان إليهن، والصبر علي عوج أخلاقهن، واحتمال ضعف عقولهن، وكراهة طلاقهن بلا

ويوضح ــ ﷺ ــ الصورة أكثر بتأثير تقبل الفتن في القلوب وتأثيرها فيه بهذه الصورة الحسية.

قال صلي الله عليه وسلم: "إذا أذنب العبد ذنباً نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا عاد نُكتتْ أخري، فلا يزال كذلك حتى يَسْوَدَّ القلب، ثم قرأ قوله تعالي: { كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون }"([118]).ويصور عرض الفتن على القلوب بتصوير أوضح وأكثر تفصيلا فعن حذيفة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول:"تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أُشربها نُكِت فيه نُكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكِتَ فيه نُكتة بيضاء، حتى نصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تَضُرُّه فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر: أسود مربادا، كالكوز مُجَخِّيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، إلا ما

([117]) رواه مسلم في الرضاع (٣٥٨٠) وانظر (٣٥٨١-٣٥٨٥) باب الوصية بالنساء ٤/١١٤٦-١١٤٧.

([118]) الأمثال من الكتاب والسنة صـ١٧٥ المطففين ١٤

أُشرب هواه " (١١٩)فمثل عرض الفتن على القلوب بعرض أعواد الحصير، ومثل تقبل القلب لها أو إنكاره بالنكت البيضاء أو السوداء.

(٤-٣)ضرب الأمثال بالطعام: وما فيه:

يمثل ـ ﷺ ـ أصحابه مظهراً أهمية وجودهم مشبهاً لهم بالملح في الطعام في قلته وفائدته في إصلاح الطعام.

قال صلي الله عليه وسلم:"مثل أصحابي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح"(١٢٠)

فالشبه هنا بين الصحابة والملح عقلي، فالناس يصلحون بالصحابة كما يصلح الطعام بالملح، أو أن الصحابة تقل فتكون في قلتها في الناس كقلة الملح في الطعام فهي قلةً نافعة. كما قيل في الأنصار من حديث ابن عباس يرفعه للنبي ـ ﷺ ـ: "…. إن الناس يكثرون وتَقِلُّ الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام…."(١٢١)

(٩-٢) ويظهر ـ ﷺ ـ فضل عائشة علي سائر النساء ممثلاً لها ولسائر النساء بأنواع الطعام فعن أنْس بن مالك قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:"فضل عائشة علي النساء كفضل الثريد علي سائر الطعام "(١٢٢) فمثلها في

(١١٩) رواه مسلم في الإيمان (٣٦٢) باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا ٨٤١/١. وقوله:(تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا).

(١٢٠) مجمع الزوائد للهيثمي ١٨/١٠.

(١٢١) انظر الهامش السابق البخاري ١٢١/٧.

(١٢٢) رواه البخاري في فضائل الصحابة (٣٧٧) باب فضل عائشة رضي الله عنها ١٠٦/٧، وفي موضعين من كتاب الأطعمة، باب الثريد (٤٥١٨) ٥٥١/١٠ ومسلم: في الفضائل ٦١٨٢، ٩١٨٣، باب من فضل عائشة ٦٣/٧..وغيرهما.

نفعها وفائدتها بالثريد، أو في لذتها وقوتها، فكانت عائشة رضى الله عنها أصغر نسائه سنا إذ كانت فتاة، ولم يتزوج ـ ﷺ ـ بكرا غيرها.فربما كان تشبيهها لفضلها، أوفي لذتها وقوتها، أو نفعها وفائدتها..وهذا كله متوافر في الثريد بمقارنته بسائر طعام العرب.

ويشبه النبي ـ ﷺ ـ بعض أصحابه بتشبيهات تظهرهم وتبين موقفهم وأخلاقهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: "إن أبا بكر وعمر من الإسلام بمنزلة السمع والبصر من الإنسان"([١٢٣]).

ويقول ـ ﷺ ـ:"مثل المسلمين كمثل الرأس من الجسد "([١٢٤]).فمثل قيادة المسلمين للناس بموضع الرأس من الجسد فالمسلمون للناس قادة وهم منهم بمنزلة رأس الإنسان من جسده.

وقوله ـ ﷺ ـ:"المؤمن مرآة أخيه " وفي رواية: (المؤمن) وفي رواية:"إن أحدكم مرآة أخيه فإن رأي شيئاً فليمطه عنه"([١٢٥]) حيث مثّل النبي ـ ﷺ ـ المؤمن بالمرآة لأخيه، يُخلِص له النصيحة، فيريه حسناته وهناته، أو يريه فيه عيوبه، ويظهرها له كي يجتنبها، والمؤمن الناصح المخلص مشابه للمرآة؛ التي تُري الإنسان بعض ما غاب عنه بلا غشٍ أو خداع.

([١٢٣])رواه الترمذي ١٠/١٥٤ والحاكم ٣/٦٩ وصحّحه، وقال الذهبي: حسن، وقال الألباني: إسناده عندي صحيح (سلسلةالأحاديث الصحيحة ٢/٤٧٢ـ٤٧٧رقم ٨١٤-٨١٥)، وأحمد في فضائل الصحابة ١/٤٣٢ رقم ٦٨٦ وأبوالشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي رقم٣١٠

([١٢٤]) إتحاف السادة المتقين ٤/٤٣٣.

([١٢٥]) رواه أبو داود ٢/٥٧٨، والترمذي ٤/٣٢٥-٣٢٦، البيهقي ٨/١٦٧ ورواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة، وإسناده حسن لغيره، وأبو الشيخ الاصبهاني رقم ٤٣، والطبراني في الأوسط. انظر المقاصد الحسنة (٤٣٩).

ويصور النبي ــ ﷺ ــ الناس فيشبههم بأسنان المشط في مساواتهم بعضهم بعضاً، ولا فضل لأحد علي أحد، ولا ميزة لأحد علي أحد، ولكن المفاضلة بينهم بمعافاة الله للإنسان من شر نفسه وبالتقوى والعمل الصالح، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ:"الناس سواء كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية"([١٢٦])

ويصور كذلك من يشق اجتماع المسلمين على الطاعة ويفرق بينهم بمن يكسر العصا القوية فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ــ ﷺ ــ قال: "من شق عصا المسلمين فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"([١٢٧]) وهذا من الكناية التي يدل ظاهرها عل موقع المراد منها بحياة الأمة الإسلامية على سبيل ضرب الأمثال فلا قلادة ولا خلع، وإنما بعد عن طريق الحق كمن خلع ذلك من رقبته.

(٥-١) الظواهر الطبيعية

أما عن نفعهم كقول النبي ــ ﷺ ــ:"أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"([١٢٨]).فمثلهم بالنجوم للاقتداء بهم

([١٢٦]) أبو الشيخ رقم (١٦٦) الموضوعات لابن الجوزي ٣/٨٠ اللآلئ المصنوعة ٢/٥٩٠ وميزان الاعتدال ٢/٢١٧. والحديث قال عنه ابن عدي:وضعه سليمان بن عمرو علي إسحاق، وأجمعوا أنه كان يضع الحديث.

([١٢٧]) أمثال الحديث الرامهرمزي رقم (٨٠) قال الرامهرمزي:قال أبو محمد رحمه الله: شق العصا: بمعني مخالفة الإسلام والخروج علي أهله بالعصيان، يقال شقت عصا المسلمين إذا اختلفت كلمتهم وتبدد جمعهم، والشقاق: المخالفة، وفي التنزيل: { بل الذين كفروا في عزة وشقاق} والربقة: القلادة، ولا قلادة هناك: إنما هو علي التمثيل.والطبراني في الكبير (١٠٩٢٥).

([١٢٨]) المطالب العالية لابن حجر (طـ: التراث الإسلامي ٤١٩٣، سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ٤٣٨.

أما عن المرأة التي لا تلتزم الزي الشرعي عندما تخرج من بيتها فيمثلها ـ ﷺ ـ بالظلمة يوم القيامة.

فعن ميمونة بنت سعد (كانت خادمة النبي ـ ﷺ ـ) أن النبي ـ ﷺ ـ قال: "مثل الرّافلة في الزينة في غير أهلها كمثل الظلمة يوم القيامة لا نور لها"(١٢٩) فيصور ـ ﷺ ـ المرأة المتزينة المتعطرة الرافلة في زينتها المتبخترة فيها، وهي المتبهرجة في الدنيا، يمثل هذا الفعل يوم القيامة بالظلام الدامس وعدم النور، لأن الجزاء من جنس العمل، فمن أحيت الظهور في الدنيا بالمعصية، انقلبت عليها ظلاما دامسا.

ويمثل ـ ﷺ ـ ذكر الله تعالي مظهرا بعض خصائصه وفضائله فلذكر الله من الفضائل ما لا يحصر، من ذلك ما يصوره النبي ـ ﷺ ـ ممثلا من يذكر ربه، ومن لا يذكر ربه سواء بقراءة القرآن أو غيره من الأذكار المشروعة.

فعن أبي موسى قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:"مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت "(١٣٠) فمثّل ذاكر الله بالحي، وغير الذاكر بالميت لأن ذكر الله حياة القلوب فمثل الذاكر بالحي بكل أنواع

---

(١٢٩) رواه الترمذي ٤/ ٣٢٩ (١١٦٧) وقال:غريب نوأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي ص ٣١- ٣١٤، والطبراني في الكبير ٢٥/ ٣٨ رقم ٧٠.

(١٣٠) رواه البخاري في الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل برقم (٦٤٠٧) ٢٠٨/١١ ومسلم، في الصلاة، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته برقم (١٧٩٢) ٢١١/٣ وأبو الشيخ في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم (٣٢٤) وصحيح ابن حبان ١٠٨/٢.... وغيرها

الحياة، والذي لا يذكر الله هو الميت الموت الحقيقي، وهو موت القلب، فحياة القلوب إنما تكون بذكر الله والإيمان به.

روى أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلي رسول الله ـ ﷺ ـ: فقال:كيف يجمعنا الله تبارك وتعالي بعدما تُفَرِّقُنَا الرِّياح والبِلَي؟ قال: أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، أرضاً أشرفت عليها وهي مَدَرَةٌ بالية، فقلت لاتحيا أبداً، ثم أرسل ربُّك عليها السماء، فلم يلبث عليك حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة، ولعمرك إلهك؟؟، لهو أقدر علي أن يجمعكم من الماء علي أن يجمع الأرض، فتخرجون من الأصوات من مصارعكم، فتنظرون إليه وينظر إليكم، فقلت: يا رسول الله ! وكيف، ونحن ملء الأرض وهـو شخص واحـد، ينظـر إلينا، وننظر إليه، قال: أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله: الشمس والقمر آية منه صغيرة، ترونها وتريانكم، ولا تضامون في رؤيتها، فلعمر إلهك لهو أقدر علي أن يراكم وتروه عنها، وترونهما ويريانكم ولا تضامون في رؤيتهما"([131]) فيمثل ـ ﷺ ـ ما غاب عن الناس من الغيبيات ومنها رؤية الحق تبارك وتعالى، بمثال يحضر الناس ويستطيعوا استيعابه، وهو تمثيل الرؤية برؤية الشمس القمر.

(٦-٠) الثقافة العامة:

(٦-١) الأمثال العربية والثقافة الشعبية:-

حيث مثَّل رسول الله ـ ﷺ ـ بما هو متمثل في أذهان العرب من ثقافتهم وأمثالهم الدارجة على ألسنتهم، وهذه الأمثال عبارة عن الثقافة العربية

([131]) أخرجه الطبراني في الكبير ١٩/٢١١-٢١٤رقم ٤٧٧ وأبوداود ٣/٥٧٧-٥٧٨ رقم ٣٢٦٦ وأبو الشيخ الأصبهاني، في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم (٣٤٥) صـ٣٩٦-٣٩٧

المشتركة بين العرب الذين عاشوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وسمعوا كلامه.

ولعل في المثال الذي اخترته من هذه الأمثال العربية المتوارثة عن آبائهم وأجدادهم ما يفي بالإشارة إلى استعماله ﷺ ثقافة القوم من أمثالهم في تمثيله وتصويره ما يريده لتقريب الفكرة إلى أذهان مستمعيه.

إذ الأمثال العربية جزء من تكوين الثقافة العربية للعربي، ومنها هذا المثل: "أنا النذير العريان" (١٣٢).

وهو مَثَلٌ من أمثال العرب، ذكر أصحاب كتب الأمثال له روايات منها: أنه رجل من خثعم في يوم ذي الخلصة، وأنه سُلب؛ فأتى قومه عريانا، وجعل يقول: "أنا النذير العريان": أي، ليس في أمري شبهة.

وذَكَرَ بعضهم رواية عن ابن الكلبي: أنه لامرأة رقبة ابن عامر لما حبسه المنذر، وأباح لأبى دؤاد بغزو قومه، فذهبت امرأته لتنذرهم؛ فأتت قومها، ثم قالت: أنا النذير العريان، أي ليس في أمرها شبهة، فأرسلتها مثلا (١٣٣).

وقال أيضا: وقال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه، وإعلانهم بما يوجب المخافة، نزع ثوبه وأشار به، إذا كان بعيداً عنهم، ليخبرهم بما

---

(١٣٢) مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، النيسابوري، الميداني (ت:٥١٨هـ)، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه /محمد محيى الدين عبد الحميد، سنة ١٣٧٤هـ=١٩٥٥م، الباب الأول: فيما أوله همزة، المثل رقم ١٨٦، ج١ ص٤٨.

(١٣٣) انظر: الفاخر، لأبى طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (٢٩١هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، ومراجعة: محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٤م، ص٨٤-٨٦. وانظر: مجمع الأمثال، الباب الأول: فيما أوله همزة، المثل رقم (١٨٦) ص ٤٩.

دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم، ثم صار مثلا لكل أمر تُخاف مفاجأته(١٣٤).

حديث النبي ﷺ الذي يذكر فيه النذير العريان، يضع صورة للمنذر قومه، والمحذر لهم من شر قد اقترب منهم، فيصور النبي ـ ﷺ ـ نفسه به ويعرض نفسه على قومه جاهرا بدعوته في صورة قريبة إلى مستمعيه، مأخوذة من ثقافتهم كأنها صورة مشاهدة، تستدعي إلى الذاكرة ذلك المثل العربي، وتصور في الذهن صورة المنذر الشفيق عليهم، فيصور اقتراب الخطر منهم، وأنه نذير لهم بين يدي عذاب شديد، مُبرزًا صورةً لمن أطاعه، ومعطيا صورة لمن عصاه؛ ففي الحديث الذي روي عن أبى موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال:

"إنَّما مَثَلِي ومَثَلُ مَا بعثني اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يا قوم إني رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ !! فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِم، وكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُم فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُم، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُم وَاجْتَاحَهُم، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ ما جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وكَذَّبَ ما جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ"(١٣٥)..

صوَّر النبي ﷺ حاله مع قومه، بحال النذير المخلص الذي أرسل ربيئة لقومه ليستطلع لهم الأخبار، ذاكرا قصة هذا النذير مشبها حاله بحاله في هذه

---

(134) انظر: الفاخر، ص ٨٤-٨٦، وانظر: مجمع الأمثال، ص ٤٩-٥٠.

(١٣٥) رواه البخاري في الاعتصام (٦٤٨٢) باب الاقتداء بسنن رسول ﷺ ١٢/٢٥٠، وفى الرقاق (٦٤٨٢) باب الانتهاء عن المعاصي ١١/٣١٦، ومسلم: كتاب الفضائل (٥٨٤٤) باب شفقته ﷺ على أمته. ٧ / ٢٤٧-٢٤٨ واللفظ له.

القصة؛ فهذا النذير عندما أدركه الخطر ورأى جيش العدو لم يجد وسيلة أسرع من ثيابه، التي تجرد منها، وأشار بها فأنذرهم أنه النذير العريان، فالنبي ﷺ في هذا الحديث حريص على دعوة قومه ونجاتهم من عذاب الله، كحرص هذا النذير العريان الذي صوَّره المثل، فالنذير يبدو حريصاً أشد الحرص على نجاة قومه وسلامتهم من بطش الجيش، ولذا أسرع بإنذارهم بما يملك من وسائل، فلم يجد إلا ثيابه، فخلعها لِيُلَوِّحَ بها في كل اتجاه، استثارة لانتباههم وإسراعاً بنشر الخبر بينهم وتوصيله إليهم، فهو يستصرخهم ويستحثهم للنجاة، يقول لهم: النجاة.، فيطلب منهم النجاة لأنفسهم من شرٌ قد اقترب منه ومنهم، شَرٌّ قد رآه عين اليقين، ومع تأيّد النذير بكثير من الدلائل والقرائن التي تؤكد صِدْقَهُ، إلا أنَّ الناس انقسموا حيال دعوته إلى فريقين: أحدهما: صدّق النذير، فنجوا بأنفسهم. والآخرين: جاء موقفهم متخاذلاً، فلم يأبهوا للإنذار فأصبحوا مكانهم فجاء الجيش فاجتاحهم.

وانقسام الناس أمام صيحته إلى طائفتين: طائفة: أطاعوا دعوة الناصح الأمين. وطائفة: أعرضت وأدبرت.

وكان النبي ﷺ مخلصاً في دعوته وتبليغها؛ حريصاً على نجاة أمته بجميع الوسائل، ومؤيَّدا بكثير من الدلائل والمعجزات الدالة على صدق دعوته، ولم يألُ جهداً في تبليغ دعوته لقومه والناس أجمعين، ودائماً يستحث أمته: النجاة..النجاة من النار وعذاب الله، والفرار إلى الله، وإلى جنة عرضها السماوات والأرض، فانقسم الناس تجاه دعوته إلى فئتين: فئة استجابت لله ورسوله، عندما دعاهم لما يحييهم، وهؤلاء مصيرهم النجاة يوم القيامة، والفوز برضوان الله؛ وفئة أخرى كذبوا الرسل ولم يعملوا بما أرسل به، فكان موقفهم مخزياً، فضروا أنفسهم وهلكوا، فكان مصيرهم جهنم وبئس القرار؛ فالذين صدقوا النذير شأنهم كشأن المؤمنين الذين أطاعوا الله ورسوله، والذين كذَّبُوا النذير ولم يُعيروا إنذاره آذانا

صاغية كان شأنهم كشأن الكافرين الذين كذَّبوا رسول الله ﷺ، سبه النبيﷺ نفسه بالنذير، وانقسام الناس حيال دعوته كانقسامهم حيال دعوة النذير، وكذا جزاؤهم كجزائهم، وهذا مثال يقرب من العقول هذه الصورة، فتزيدها قرباً بمثال حسي تشهده العيون وتسمعه الآذان، وكان استعمال النبيﷺ لثقافة قومه من الأمثال العربية المشهورة بينهم وسيلة لتقريب الصورة من الأذهان.

(٧-٠)التمثيل بالغيبيات:

(٧-١) الملائكة والرسل والصالحون، أو الشياطين:

وقد مثلهم بأمثال من الملائكة والأنبياء فعن ابن عباس أن النبي صلي الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما:"ألا أخبركما بمثلكما من الملائكة ومثلكما في الأنبياء أما مثلك يا أبكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة، ومثلك في الأنبياء مثل إبراهيم عليه السلام إذ كذَّبه قومه، وصنعوا به ما صنعوا فقال: {فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم}([١٣٦]) ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنقمة، ومثلك في الأنبياء كمثل نوح قال: { رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّارا }([١٣٧]) "([١٣٨]) فذكر لهم أمثلة من الملائكة مظهراً فضلهم علي بقية الصحابة وبقية الأمة.

([١٣٦]) سورة إبراهيم.

([١٣٧]) سورة نوح: ٢٦.

([١٣٨])مجمع الزوائد ٥١/٩ وقال رجاله ثقات، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة ١٨١/١رقم١٨٦ وفي المسند ٣٨٣/١-٣٨٤، والطبراني في الكبير ١٧٦/١٠-١٧٧ رقم١٠٢٥٨-١٠٢٥٨.وأبو الشيخ في كتاب الأمثال في الحديث النبوي ص ٣٦٢ رقم ٣١٠.

وشبه ــ ﷺ ــ بلالا بالنحلة المفيدة فقال: "مثل بلال كمثل نحلة تأكل من الحلو والمر ثم تمسي حلواً كله "(١٣٩).

ومثل عروة رضي الله عنه بصاحب ياسين فيقول صلي الله عليه وسلم: "مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلي الله "(١٤٠).

أما هؤلاء الذين يأتون ما أحل الله لهم ولكن يسيئوا التحدّث عنها فيذكرون ما تمَّ بينهم وبين أزواجهم فيمثلهم ــ ﷺ ــ بهذه الصورة المزرية بقوله:"مثل ذلك كمثل شيطان لقي شيطانة فوقع عليها والناس ينظرون "(١٤١) وفي رواية أخري:"مثل شيطان لقي شيطانة في سكة فنحكها والناس ينظرون"(١٤٢).فيصور الذي يفشي أسرار العلاقة الزوجية، وما يحدث بين الرجل وأهله بمن يفعل هذا الفعل أمام الناس، فذكره لهم ما فعله كأنه فعل ذلك الفعل أمامهم.

(٨-١) حاجات الإنسان

وصور النبي صلي الله عليه وسلم من يُبْدِ ما ليس فيه:أي يُظهر صفات ليست به أو له، بصورة ظاهرة للأعين ليكون ماثلا أمامها متفهما معنى الصورة

---

(١٣٩)أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٣٠٠، والطبراني في الأوسط وقال إسناده حسن وأبو الشيخ في كتاب الأمثال في الحديث النبوي صـ٤٠٨ رقم ٣٥٩. ووضعه الألباني في (ضعيف الجامع الصغير).حيث نسبه السيوطي الترمذي في نوادر الأصول.

(١٤٠) رواه الترمذي في الأمثال (٢٨٦٦) باب:ما جاء في مثل المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ ٥/١٥٠، وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي صـ ٣٦٨ رقم ٣١٥ . في مستدرك الحاكم ٣/٦١٥، ط بيروت.

(١٤١)مصنف ابن أبي شيبة ٤/٣٩١.

(١٤٢)عمل اليوم والليلة، لابن السني ٦٠٩.

فعن أسماء بنت أبي بكر أ ن امرأة قالت للنبي صلى الله عليه السلام: إن لي ضرةً فهل علي جناح أن أتشبع لها من زوجي فقال رسول الله ـ ﷺ ـ قال: "المتشبِّعُ بما لم يُعْطَ كلابس ثوبي زور"(١٤٣). لأن الصفات التي يدعيها ليست أصلية به وليست من أخلاقه ولا من صفاته، فهو كمن يلبس ثياب زور وكذب، وهو تشبيه حسي بمعنوي، حتى يظهر الصورة ويوضحها في عقول المستمعين.

ويمثل النبي ـ ﷺ ـ البعث والنشور ليقرب الصورة إلي عقول من يستفسر عما غاب عنه من أمور الغيب.

يمثل ـ ﷺ ـ تتابع علامات الساعة فعن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي صلي الله عليه وسلم: "مثل الآيات مثل خرزات منظومات في سلك انقطع السلك فتتبع بعضها بعضاً"(١٤٤) والآيات، أي علامات الساعة إذا ظهرت إحداها تقع الأخري إثرها بغير فاصل زمني طويل، فضرب الأمثال عنده ـ ﷺ ـ وسيلة إيضاحية، وأداة توصيل لما غاب عن الصحابة بما حضر بينهم.

ويمثل النبي ـ ﷺ ـ وقت وفاة الإنسان وما ينفعه ويبقي أثره وما ينمحي أثره ولا ينفعه بمجرد زواله عن الدنيا.

فعن أبي بن كعب، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: "إني ضربت للدنيا مثلاً ولابن آدم عند الموت مثله مثل رجل له ثلاثة أخلاء: فلما حضره الموت قال لأحدهم: إنك كنت لي خلاً، وكنت لي مكرما مؤثراً، وقد حضرني من أمر الله ما تري،

---

(١٤٣) البخاري في النكاح ٢٣١/١١، ومسلم في اللباس ١١١/١٤، وأبودولود في الأدب ٣٤١/١٢، وأحمد في المسند ٣٤٥/٦، ٣٤٦، ٣٥٣، أبو الشيخ رقم ٥٩

(١٤٤) روّاه أبو الشيخ (٢٦٤) ورواه أحمد ٢١٩/٢، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢١/٧ والحاكم ٥٤٦/٤. وهو صحيح علي شرط مسلم وأقره الذهبي.

فماذا عندك فيقول خليله ذلك: وماذا عندي وهذا أمر الله تعالي قد غلبني عليك ولا أستطيع أن أنفس كربتك ولا افرج غمَّكَ ولا أؤخر سعيك، ولكن هأنذا بين يديك، فَخُذْ مني زاداً تذهب به معك، فإنه ينفعك، قال:ثم دعا الثاني فقال: إنك كنت لي خليلاً، وكنت آثر الثلاثة عندي وقد نزل بي من أمر الله ما ترى، فماذا عندك ؟ قال: يقول:وماذا عندي، وهذا أمر الله قد غلبني ولا أستطيع أ ن أنفس كربتك، ولا أفرج غمَّك، ولا أؤخر سعيك، ولكن سأقوم عليك في مرضك، وإذا مت أتقنت غسلك وجودت كسوتك وسترت جسدك وعورتك. قال:ثم دعا الثالث فقال: نزل بي من أمر الله ما تري وكنت أهون الثلاثة عليَّ، وكنت لك مضيعاً وفيك زاهداً فماذا عندك؟ قال عندي أني قرينك وحليفك في الدنيا والآخرة، أدخل معك قبرك حين تدخله، وأخرج منه حين تخرج منه ولا أفارقك أبداً. فقال النبي ـ ﷺ ـ: هذا ماله وأهله وعمله، أمَّا الأول الذي قال خذ مني زاد اً فماله، والثاني: أهله والثالث عمله"(١٤٥) فمثل الآدمي ومثل الموت كمثل رجل له ثلاثة من الخلان، قال أحدهم له: هذا مالي فخذ منه ما شئت وأعط منه ما شئت، وقال الآخر: أنا معك أحملك لي مادمت حيَّاً، فإذا مت تركتك، وقال الثالث: أنا معك، أدخل وأخرج معك متَّ أو حييت فالأول: ماله، والثاني عشيرته، والثالث عمله حيثما كان فهو معه.

فيظهر النبي ـ ﷺ ـ قرب قيام الساعة منه، وأنه علامة من علامات الساعة المتلازمة به كتلازم أصابعه بعضها ببعض. أو أنه والساعة كفرسي رهان، سبق هو، والساعة وراءه مباشرة، فيصور ـ ﷺ ـ قرب الساعة وتلازمها به بهذه

(١٤٥) رواه الرامهرمزي في كتاب أمثال الحديث رقم ٧٥، وبرواية مختلفة في البيهقي في شعب الإيمان في كتاب الأمثال في الحديث النبوي صـ٣٦١-٣٦٢ رقم ٣٠٩

التمثيلات الموجودة في البيئة، والملازمة لحياة الإنسان، ليقرب المفهوم للعقول، مصوراً مدي قرب قيام الساعة ففي عبارة موجزة، وتمثيل واضح، أظهر النبي ـ ﷺ ـ هذه الحقيقة البعيدة عن الأذهان، بهذا التشبيه الحاضر للعيان، فأبرز صورة قرب بعثته من قيام الساعة إبرازاً تمثل في إشارته بإصبعين من يده الشريفة، وقد يفهم من ضرب المثل اتصال دعوته إلي قيام الساعة، فلا يفصل بينهما دعوة أخرى، ولا رسالة غير رسالته فلا يفصل بينهما شيئا، ويشهد لهذا المعني قول رسول الله ـ ﷺ ـ: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله"(١٤٦) فالنبي ـ ﷺ ـ آخر الأنبياء، ودعوته آخر الرسالات، فلا نبي بعده ولا دين ينسخه، فهو مستمر إلي قيام الساعة ليس بين قيام الساعة وبينه أحد.

ويمثل النبي ـ ﷺ ـ أعمال المؤمنين حاضاً علي العمل بها والتأسي بها، فمنها: قراءة القرآن، وقد مثل النبي ـ ﷺ ـ المؤمن الذي يقرأ القرآن. فورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ـ ﷺ ـ:"مثل القرآن لمن تعلّمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو -يعني مسكاً-يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه ورقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي علي مسك"(١٤٧) فالقرآن يعطر باطن الإنسان بالإيمان والعلم والحكمة وقد مثل ذلك النبي ـ ﷺ ـ في صورة حسية حتى تتقبل العقول هذه الصورة، فمن تعلم القرآن وقرأه وعمل به فهو

(١٤٦) أحمد في المسند ٤/١٠١.

(١٤٧)رواه النسائي في الكبري تحفة ١٠/٢٨٠، وابن حبان في صحيحه رقم ١٧٨٤ صـ٤٤٢ والرامهرمزي في أمثال الحديث رقم ٤٨ من حديث عثمان نحوه، وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٣٤ صـ٣٨٦ وفي سنده ضعف

ينشر خيره عملياً ويظهر أثره للناس، والقرآن كل ما فيه خير وطيب، كطيب ريح المسك بين الرَّوائح، أما من قرأ القرآن ولم يعمل به فكأنه قد أوكي علي المسك فلا فائدة تنشر منه لأنه محبوس عن العمل، ولو عمل به في يوم من الأيام لكان عمله طيباً، فمثَّل القرآن وأثره بحاسة الشم وهى من الحواس الخمس المعروفة عند الإنسان مقربا بها المفهوم الذي يريد أن يوضحه، وهذا المعني مؤكد في كثير من الأحاديث الأخرى.

وعن إصلاح الإنسان عيب نفسه يمثل النبي ـ ﷺ ـ بعض الأخطاء التي يقع فيها فريق من الناس، وهم الذين ينظرون إلى أخطاء الآخرين وينسون أنفسهم قال تعالى: {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون}(١٤٨)

أما من ينفع الناس ويعلمهم فيأمرهم وينهاهم وينسى نفسه فيمثله ـ ﷺ ـ بمن يضيء للناس ويحرق نفسه، فيقول ـ ﷺ ـ:"مثل الذي يعلم الخير للناس وينسي نفسه، مثل الفتيلة تضيء للناس"(١٤٩) فالناس يستفيدون بعلمه ويمشون في نور ذلك العلم بالعمل به، أما هو فلتركه العمل به لم يستفد بخيراته، بل كان وبالاً عليه ومهلكة لنفسه.

فطلب العلم حسن ينبغي لمن طلبه أن يعمل به ويعلمه، ولذا حرص النبي صلي علي دعوة أمته لطلب العلم والعمل به في كثير من الأحاديث الصحيحة الثابتة، وقد مثَّل النبي ـ ﷺ ـ من يحرص علي طلب العلم من منذ الصغر حاثاً

---

(١٤٨) البقرة /٤٤.

(١٤٩) تفسير الطبراني ٢/١٨٧-١٨٠ مجمع الزوائد ١/١٨٤، الترغيب والترهيب ١/١٢٦، ٣/٢٣٥ إتحاف السادة المتقين ١/٣٠٤ العلل المتناهية ١٨٦٨

علي ذلك ومرغباً فيه، ومظهر الفوائد، فطلب العلم في الصغر لايمحي بسهولة مثل النقش في الحجر بل يثبت في الذهن وبضرب الأمثال الواضحة يظهره قائلا: "مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش علي الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في الكبر كالذي يكتب علي الماء"(١٥٠) فمن يبدأ تعلمه في الكبر، يكون قد فاته وقت صفاء الذهن، فيكون كالنقش كالماء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:"ضرب رسول الله ــ ﷺ ــ مثل الذي ينخلع من ماله يقعد كأنه وارث كلالة"(١٥١) عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ:"مثل الذي يعتق عن الموت كمثل الذي يُهْد بعدما يشبع"(١٥٢) وعن الحسين بن علي رضي عنهما قال رسول الله ــ ﷺ ــ "مثل الرجل يصيب المال الحرام ثم يتصدَّق به لم يُتَقَبَّل منه إلَّا كما يُتَقَبَّلُ من الزانية التي تزني ثم تتصدَّقُ به علي المريض"(١٥٣) وهذه الأمثلة بضرب الأمثال بأفعال لا قيمة لها ويؤكد عليها ــ ﷺ ــ بأكثر من مثال وبأكثر من تمثيل.

---

(١٥٠) تذكرة الموضوعات /٢٢ مجمع الزوائد ١٢٥/١، الدر ١١٦ سلسلة الأحاديث الضعيفة ٦١٨ اللآلئ ١٠٢/١ وفي المثل قولهم: "يرقم علي الماء "يقال ذلك للرجل الحاذق، أي من حذقه يرقم حيث لا يثبتُ الرَّقمُ، ويضرب ذلك مثلاً أيضاً للشيء لا يثبت، ولا يؤثرَ (جمهرة الأمثال ٣٢٩/٢ ومجمع الأمثال ٢٣٨/٢، والمستقصي ٣٣٤.

(١٥١)إسناده لا بأس به، أبوا لشيخ الأصبهاني، الأمثال في الحديث النبوي صـــ٤٠٤ رقم ٣٥١ كنز العمال ١٦٢٧٣

(١٥٢)إسناده لا بأس به ٢١٢٣ أبو داود ٥١٥/١٠، الترمذي ٣١٦/٦ النسائي ١٩٩/٦ أحمد١٩٧/٥ كتاب الأمثال في الحديث النبوي لأبي الشيخ صـــ٢٨٠ رقم ٣٢٧.

(١٥٣) إسناده ضعيف أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان ٢٤٦/٢ وأبو الشيخ الأمثال في الحديث صـــ٣٨١رقم ٣٢٩.

روي الإمام أحمد والترمذي من حديث الحارث الأشعري أن النبي – ﷺ – قال: إن الله سبحانه أمر يحي بن زكريا بخمس كلمات ليعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها وإنه كاد أن يبطئ بها، فقال عيسي: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم، فقال يحي: أخشى إن سبقتني أن يخسف بي أو أُعَذَّب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد وقعدوا علي الشرَّف فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وان آمركم أن تعملوا بهن، أولاهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مَثَلَ من أَشْرَكَ بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو وَرِقٍ فقال: هذه داري وهذا عملي، فاعمل وَأَدِّ إلي، فكان يعمل ويُؤدي إلي غير سيده، فأيُّكم يرضي أن يكون عبده كذلك، وإن الله يأمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت.

وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صُرَّة فيها مسك وكلهم يعجبه ريحها، وإن ريحها الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أَسَرَهُ العدو فأوثقوا يديه إلي عنقه، وقدموا ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفتدي منكم بكل قليل وكثير، ففدي منهم.

وأمركم أن تذكروا الله فإن الله مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سِرَاعاً حتى إذا أتي علي حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله.

قال النبي – ﷺ –:"وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة

الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن ادعي دعوى الجاهلية، فإنه من جهنم، قالوا يا رسول الله، وإن صلّيّ وإن صام؟ قال:وإن صلّيّ وإن صام فادعوا بدعوى الله الذي سمّاكم المسلمين المؤمنين عباد الله"(١٥٤) فمثلت الأعمال الصالحة بأمثلة حسية حتى يظهر فضلها يجسم وبذا تكون أقرب للإقناع والتأثير في النفوس من الأمر المباشر، فأعطى مثالا لعبادة الله وحده لا شريك له مظهرا قبح اتخاذ الأنداد من دون الله بمثال حسي يعيشه السامعون ويفهمونه ثم يضعهم في الموقف حتى يحكموا بأنهم لا يرضون هذا الفعل لأنفسهم وهن أن يعمل عبدهم الي اشتروه من خالص أموالهم وأعطوه أموالهم ليعمل ويؤدي إلى صاحبه فعمل وأدي إلي غيره، فهي صورة قبيحة تأباها النفوس، وكذا سائر الأمثلة للصيام والصدقة وذكر الله.

ويصور النبي سلى الله عليه وسلم بعض أخطاء الصلاة فيمثل الرجل الذي لا يقول آمين في الصلاة مصورا ما يفوته من الأجر بمثال حسي فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: "إذا قال الإمام {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} فقال الذي خلفه آمين التقت آمين أهل السماء وأهل الأرض وغفر الله للعيد ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومثل رجل لا يقول آمين، كرجل غزا مع قوم فاقرعوا سهامهم فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فقال: ما لسهمي لم يخرج ؟: قالوا إنك لم تقل آمين "(١٥٥)فهو تمثيل من النبي ـ ﷺ ـ صوراً لبعض أخطاء، المصلين في صلاتهم مظهراً إياًها في صورة حسية وهي صورة الاستهام المشهر عندهم، ومن أخطائهم أيضا التي مثلها ـ ﷺ ـ. ما روي عن أبي سلام

(١٥٤)إعلام الموقعين ١/ ٢٣٠ –٢٣١ وقال: هو من أحسن الأمثال وأعظمها تقريباً إلي الأفهام.

(١٥٥)كتاب الأمثال في الحديث النبوي صـــ٣٢٦.

الأسود رضي الله عنه: أن رسول الله ــ ﷺ ــ رأي رجلاً ينقر في صلاته، لا يتم الركوع والسجود فقال:لو مات هذا مات علي غير مِلَّة محمد ــ ﷺ ــ فإذا صليتم فأتموا الركوع والسجود، فإن مثل المصلّي الذي لا يتمّ ركوعه ولا سجوده كمثل الجائع الذي يأكل المرَّة والمرّتين لا تغنيان عنه شيئاً "(١٥٦) فيصور هذا الذي يصلي الصلاة لا تغني عنه شيئاً، بمن يأكل ولا يغني عنه شيئاً لأنها صلاة بلا ثواب.

ويجسد النبي ــ ﷺ ــ الطاعات مظهراً لها في صورة حسيَّة حتي تستوعبها العقول من ذلك الصيام.

عن عامر بن مسعود قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ: "الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة"(١٥٧) فشبه الصيام الذي لا ينتج عنه مشقة، بالغنيمة التي يأخذها الإنسان بلا لقاء حرب ولا قتال، ويصور ــ ﷺ ــ الصيام وفائدته وثمرته للإنسان مشخصاً له بقوله:"الصيام جُنَّةُ كَجُنَّة أحدكم من القتال"(١٥٨) فمثل الصيام في وقايته الإنسان من المعاصي وسخط الله بالدرع الواقي ضربات الأعداء ووقع السيوف.

ويضرب النبي ــ ﷺ ــ مثلاً للبخيل والمتصدق، في الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن النبي ــ ﷺ ــ قال: "مثل المنفق والمتصدِّق كمثل رجلٍ عليه جُبَّتان

(١٥٦) رواه الترمذي في كتاب الأمثال والسنة صـ٥٥-٥٦

(١٥٧) رواه الترمذي ٣/٥٠٩ وابن خزيمة ٣٠/٣٠٩، والبيهقي في سننه ٤/٢٩٦ وأبو الشيخ الأصبهاني في أمثال الحديث النبوي رقم ٢٢٣

(١٥٨) اتفق الشيخان علي روايته عن أبي هريرة، وقد رواه أحمد والنسائي وابن ماجه عن عثمان بلفظ: (الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال) كشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلوني ٢/٤٣ والأمثال من الكتاب والسنة صـ٤٩.

أو جُنتان، من لدن ثديهما إلي تراقيهما، فإذا أراد المنفق (أو المتصدق) أن يتصدَّق سبغت عليه، أو مرَّت، وإذا أراد البخيل أن ينفق قلصت عليه، وأخذت كل حلقة موضعها حتى تُجِنَّ بنانه وتعفو أثره، "قال: فقال أبو هريرة: فقال: يوسعها فلا تتسع"(١٥٩) والحديث تمثيل لكثرة نماء المال بالصدقة والإنفاق، والبخيل بضدّ ذلك، وقيل هو تمثيل لكثرة الجود والبخل، وأن المعطي إذا أعطي انبسطت يداه بالعطاء، وتعوّد ذلك، وإذا أمسك صار ذلك عادة له"(١٦٠)

ويمثل البيان النبوي تكذب الناس لأوامر الله وتغييرهم فطرة الله وخلق الله فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "أرأيت لو كان عبدان أحدهما:يكذبك والآخر لا يكذبك ولا يخونك ويصدقك أيهما أحب إليك؟ قلت: الذي لا يكذبني ولا يخونني ويصدقني، قال: وكذلك أنتم عبيد ربكم أرأيتم لو كان لك إبل فجدعت هذه فقلت: خرماء، وتشق هذه وتقول: بحيرة، فساعد الله أشد، وموساه أحدُ، لو شاء أن يأتيك بها خرماء فعل"(١٦١) فمثل ـ ﷺ ـ الذين يبدلون خلق الله ويكذبون كتبه ورسله، ويخونون أماناته كفعل المشركين في البحيرة والصرماء وغير ذلك من الأفعال، فيمثل ذلك بمثال يقابله الإنسان في حياته، ويخالطه ويتلبس به، فنحن عبيد الله مملوكون له، فعليك أن تتخيل عبدا مملوكاً لك، وأفعاله معك كأفعال عباد اله معه، من أمثال هذه الأفعال المذكورة التي تحمل معني التكذيب والخيانة، وكذا لو كان هذا العبد مطيعاً لك، فما هي عاطفتك تجاه كل من العبدين، فكذا مثل علاقتك

---

(١٥٩)رواه البخاري في اللباس ٥٧٩٧ باب: جيب القميص من عند الصدر وغيره ٢٦٧/١٠والبخاري في الزكاة ١٤٤٣باب: مثل المتصدق والبخيل ٣٠٥/٣ ومسلم في الزكاة ٢٣٢١ باب:مثل المنفق والبخيل ٩٥/٤ والنسائي في الزكاة، باب: صدقة البخيل ٧٠/٥.

(١٦٠)انظر شرح النووي علي مسلم٩٩/٢

(١٦١)الأمثال من الكتاب والسنة صـ٤٢الترمذي.

بربك، هل ترضيه وتتحبب إليه، وأنت عبده ومملوكة أم تتمرد وتطغي وتكذب وتجحد، فالوعظ في هذه القصة غير مباشر بل بالشاهد والمثل الذي يظهر القضية ويمثلها ويجعلها معاشة تخالط القلوب والنفوس.

٥ـ ضرب الأمثال بالحركات: حيث صور النبي صلى الله عليه وسلم بحركات إما بإشارة أو حركة..

(٩-١) ضرب الأمثال بالحركات

عن عبد الله بن مسعود عنه ـ ﷺ ـ أنه قال:لا يمنعن أحدكم أذان بلال أو قال نداء بلال من سحوره، فإنه يؤذن أو قال: ينادي بليل ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم وقال: ليس أن يقول هكذا وهكذا" (١٦٢) وهو يمد يده ورفعها حتى يقول هكذاء وفرج بين إصبعيه "(١٦٣) وعن ابن عمر رضي الله عنهما يُحدِّث عن النبي ـ ﷺ ـ قال: "إنا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نكتبُ ولا نحسبُ الشَّهرُ هكذا وهكذا وهكذا "وعقد الإبهام في الثالثة "، والشهر هكذا وهكذا وهكذا"يعني تمام الثلاثين"(١٦٤)

---

(١٦٢)أخرجه البخاري في الصلاة (٦٢١) باب الأذان قبل الفجر ١٠٣/٢ وفي الطلاق وفي خبر الواحد ومسلم في الصيام (٢٥٠٠) باب: بيان الدخول في الصوم بطلوع الفجر٢٤٦/٤ وأبوداود في الصوم (٢٣٤٧) باب: وقت السحور٣٠٣/٢ والنسائي في الصيام ١٤٨/٤ ورواه في الصلاة وابن ماجة في الصوم ١٦٩٦ باب: ما جاء في تأخير السحور ٥٤/١

(١٦٣)مسلم في الصيام (٢٥٠١٩ باب بيان الدخول في الصوم بطلوع الفجر ٢٤٦/٤ وبقية تخريجه سبق.

(١٦٤) رواه البخاري في الصوم (١٩١٣) باب: قول النبي صلي الله عليه وسلم لا نكتب ولانحسب ١٢٦/٤ ومسلم في الصيام (٢٤٧٢) باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ٢٢٨/٤ وغيرها .

ومن ذلك حالة النبي صلي الله عليه وسلم وهي ما يسمي بالنصبة

عن أبي بكرة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ــ ﷺ ــ فقال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟(ثلاثاً) الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، "أو قول الزور" وكان رسول الله ــ ﷺ ــ مُتَكِئاً فجلس فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت"([165])

عن عبد الله بن مسعود قال: خط النبي صلي عليه وسلم خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خططاً صغاراً إلي هذا الخط الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله"([166])

وعن أنس بن مالك قال: "خطَّ النبي ــ ﷺ ــ خطوطاً فقال هذا الأمل وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ الخط الأقرب"[167]

(١٠-١) دلالة التصوير:

دلت هذه الصورة على انتشار ثقافة الأمثال العربية بين العرب، ولذلك كان رابطا مشتركا بين القائل والقابل، الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، عندما أراد أن يوصل الفكرة إليهم بهذه الصورة التي صورها في هذا الحديث، وكان الرابط المشترك بينهما هذا المثل العربي، ورأينا مدى ارتباط الصورة التي ذكرها للنذير مع قومه بصورته صلى الله عليه وسلم مع قومه.

([165])رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤) باب: ما قيل في شهادة الزور ٢٦١/٥ وفي استتابة المرتدين، وفي الاستئذان، وفي الأدب، ومسلم في الإيمان (٢٥٣) باب: بيان للكبائر وأكبرها ٦٦٩/١ والترمذي في البر والصلة (١٩٠١) باب:ماجاء في عقوق الوالدين ٣١٢/٤ورواه في الشهادات وفي التفسير.

([166])رواه البخاري في الرقاق ٧٤) في باب (٤) في الأمل وطوله ٢٣٥/١١ .

([167])رواه البخاري في الرقاق باب: الأمل وطوله ١٣٦/١١.

وعن أقواله ــ ﷺ ــ التي جرت مجرى المثل قوله في الحديث الذي يرويه عنه أبو هريرة أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال:"لا يلسغُ المؤمن من جُحْرٍ مرَّتين"(١٦٨) وقال ابن سلّام: كان أبوعَزّة شاعراً مُمْلقاً ذا عيالٍ فأسر يوم بدر كافراً، فقال:يا رسول الله، إني ذو عيال وحاجة عرفتها فامتن عليَّ، فقال: على ألّا تُعينَ عليَّ، يريد بشعره، فعاهده فأطلقه فقال شعراً بمدحه

...ألا بلغا عن النبي محمداً فإنك حق والمليك حميد...

فلما كان يوم أحد دعاه صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، وهو سيدهم إلي الخروج، فقال إنّ قدْ منَّ عليَّ، وعاهدته ألّا أُعين عليه، فلم يزل به، وكان محتَاجاً فأطعمه، والمحتاج يطمع فخرج فسار في بني كنانة فحرَّضهم فقال:

أيا بني عبد مناف الرَّزاق أنتم حماة وأبوكم حام...

قال: فأسر يوم أحد، فقال: يا رسول الله مُن عليّ، فقال النبي ــ ﷺ ــ: "لا يلسغُ المؤمنُ من جحر مرَّتين، لا تمسح عارضيك بمكة وتقول: خدعت محمَّداً مرتين، وقتله، وقيل: إنه أسره حين خرج إلي حمراء الأسد"(١٦٩) وهو مثل يضرب لمن يقع في الخطأ ثم يعاود الوقوع فيه، ولا يتعلم مما سبق.

ويمثل ــ ﷺ ــ الأمر الذي لا مشاحة فيه ولا جدال، وأن الحق به أبلج واضح عن عبد الله بن الحارث بن فضيل عن أبيه قال: كانت عصماء بنت

---

(١٦٨)الحديث أخرجه ابن عساكر، وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة والبخاري ٣٨/٨بلفظ لا يلدغ. جمهرة الأمثال ٣٠٢/٢-٣٠٥، والمثل في مجمع الأمثال ١/٢ والمستقصي ٢٨٥، لسان العرب (لسع).

(١٦٩)وحمراء الأسد: موضع علي ثمانية أميال من المدينة، إليه انتهي رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم أحد في طلب المشركين

مروان من بني أمية بن زيد، قال: وزوجها يزيد بن حِصْن الخُطمي، وكانت تُحَرِض علي المسلمين وتؤذيهم، وتقول الشعر، فجعل عُمَيْر بن عديٍّ عليه نذراً لله، لئن ردَّ الله عز وجل رسوله سالماً من بدر ليقتلنها قال: فعدا عمير في جوف الليل فقتلها، ثم لحق بالنبي صلي الله عليه وسلم، فصلي معه الصبح، وكان النبي صلي الله عليه وسلم يتفحصهم إذا قام يدخل منزله، فقال لعُمَير بن عديّ:أقتلت عصماء ؟ قال نعم قال:فقلت يا نبي الله هل عليّ في قتلها شيء؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم:"لاينتطح فيها عنزان" قال: فهي أوّل ما سمعت منه"(١٧٠) يضرب مثلاً للأمر يبطل ويذهب فلا يكون له طالب.

ويتمثل النبي ــ ﷺ ــ بأمثال سبقته منذلك قوله في الحديث الذي يرويه عنه نصر بن عاصم قال: أَخَّر أبوسفيان في الإذن، فقال: يا رسول الله كدت تَأْذَنَ لحجارة الجلهمتين قبلي !فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم:"إنَّك وذلك يا أباسفيان كما قال القائل، أوكما قال الأوّل "كلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا، أوفي جنب الفرا"(١٧١)والمثل قديم، وأصله أن قوماً خرجوا للصيد، فصاد أحدهم ظبياً، وآخر أرنباً، وآخرفرَاً، وهو الحمار الوحشي، فقال لأصحابه (كل الصيد في جوف الفرا) أي جميع ما صدتموه يسير في جنب ماصدته قال أبوهلال: أبو الشيخ رحمه الله: ولم يُسْمَع بجُلْهُمَه إلا في هذا الحديث، وإنما هو جَلْهَةُ الوادي.

---

(١٧٠)انظر المثل في: جمهرة الأمثال ٢/٣١٣-٣١٤ مجمع الأمثال ٢/١١٧، والمستقصي ٢٨٥، والحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبري ٢/٢٧، وجمهرة الأمثال ٢/٣١٤-٣١٥.

(١٧١)انظر المثل في:جمهرة الأمثال ٢/١٣٥ والمثل في جمهرة الأمثال ٢/١٣٥-١٣٦، مجمع الأمثال ٢/٥٤، والمستقصي ٢٦٧.

وقد يتمثل النبي ـ ﷺ ـ ببعض الأمثال فعن زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده "أسلم مولي عمر قال: خرجت سفراً فلما رجعت قال لي عمر:من صحبت ؟ قال: قلت رجلاً من بني بكر، فقال له عمر:أما سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول: أخوك البكري فلا تأمنه"(١٧٢)

وعن عبد الله بن عمرو الخزاعي عن أبيه قال: قال النبي صلي الله عليه وسلم في عمرو بن أمية الضمري "إذا أتيت وادي قومه فاحذره، وقد قال القائل: أخوك البكري فلا تأمنه"(١٧٣)

وعن المسور بن مخرمة أن النبي صلي الله عليه وسلم قال:"أخوك البكري فلا تأمنه"(١٧٤)

عن أبي سعيد أن النبي ـ ﷺ ـ قال:"إن ممَّا أخاف عليكم ما يفتح لكم من زهرة الدنيا وزينتها " فقال رجل: يا نبي الله، أو يأتي الخير بالشر، فأُرينا أنه يُنَزَّلُ عليه، فقال: أين السائل ؟ فكأنه حَمِدَه فقال:"إنه لا يأتي الخير بالشرِّ وإن ممَّا يُنْبِتُ الربيع لما يقتل حَبَطاً أو يُلِمُّ"(١٧٥) "وهو مثل ضربه لمن أُعطِيَ من الدنيا حظّاً، فألهاه الاشتغال به، والاستكثار منه، والحرص عليه، ومُجَانَبة القصد فيه، عن إصلاح دينه، فيكون فيه هلاكه كما أن الماشية إذا لم تقتصد في

---

(١٧٢)أبو الشيخ الاصبهاني رقم (١١٨)والطبراني في الأوسط (مجمع الزوائد٢١٥/٣، ٢٥٨/٥

(١٧٣) أبو الشيخ (١١٩) وأبوداود وفي سياق أتم ٢٠٧/١٣، أحمد٥/٢٨٩

(١٧٤)أبو الشيخ (١٢٠) والعسكري في الأمثال، انظر فيض القدير ٢٢٣/١

حبط: يحبط حَبَط:انتفخ بطنها من كثرة الأكل، أومن ممَّا لا يوافقها (الوسيط حبط١٥٩/١)

يُلِمُّ: يقترب

(١٧٥)رواه أحمد٩١/٣ والمثل في:جمهرة الأمثال ٢٠/١، مجمع الأمثال للميداني ٦/١، المستقصي للزمخشري /١٦٦ لسان العرب (حبط)

مراعيها حَبِطَتْ بطونها أي انتفخت من كثرة الأكل فماتت أو كادت، والحبط: انتفاخ البطن، ورواه بعضهم:خبطاً بالخاء، وهو تصحيف"(١٧٦)

عن عروة بن مضرّس، قال: انتهيت إلي النبي ــ ﷺ ــ، وهو يجمع قبل أن يصلِّي الغداة، فقلت: يا نبيّ الله، قد طويت الجبلين، ولقيت شِدَّة، فقال:أَفْرَخَ رَوْعُكَ، مَنْ أَدْرَكَ إفاضَتَنَا هذه فقد أدرك يعني الحج"(١٧٧) أفرخ روعك: أي زال ما كنت ترتاع وتخاف، وأصله خروج الفرخ من البيضة، وانشكاف الغمّ عنه، قال ذو الرُّمَّة: وجذلان قد أفرخت عن روعه الكُربُ(١٧٨)

٤ــ ضرب الأمثال بأشياء مختلفة: الظواهر الأخرى كالغيبيات مثل الملائكة والشياطين، وما كان مصدرا من مصادر ضرب الأمثال.

(١١-٠)المشبه به في البيان النبوي:

ضرب النبي صلى الله عليه وسلم الأمثال بأجزاء الإنسان : من ذلك

(١١-١) الإنسان وما يتعلق به:

الجسد وأجزاؤه: استخدم البيان النبوي الجسد في التمثيل وضرب الأمثال، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "مثل الجسد الواحد، إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر أعضاء الجسد بالسهر والحمي"(١٧٩).

واستخدم البيان النبوي أجزاء الجسد، فمثل بــ:

---

(١٧٦)جمهرة الأمثال ٢٠/١والمثل يضرب للمريض المفرط في الجمع والمنع الوسيط حبط ١٥٩/١

(١٧٧)مجمع الزوائد ٢٥٤/٣ وقال رواه الطبراني في الكبير، وضعفه جماعة جمهرة الأمثال ص٧٤

(١٧٨) انظر جمهرة الأمثال صـــ٧٣

(١٧٩) رواه البخاري في الأدب، برقم (٦٠٢٦) ٤٤٩/١٠، ومسلم برقم (٦٤٦٢) ٦٧٤/٧.

أ ــ الرأس: كقوله: "كمثل الرأس من الجسد"(١٨٠)، فلا حياة للجسد بلا رأس، لبيان أهمية المشبه، كأهمية الرأس للجسد.

ب ــ العين: كقوله: "يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسي الجذع أو الجذل في عينيه"(١٨١)، لأن العين ترى غيرها ولا ترى نفسها، وفي هذه الصورة إرشاد إلى النظر إلى النفس.

ج ــ العنق: كقوله: "فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"(١٨٢)، وهذا على سبيل الاستعارة، فلا ربقة للإسلام توضع في عنق الإنسان، ولكنه كناية عن خلع ما عاهد الله عليه من التمسك بدينه.

د ــ اليدين والكفين وأجزائهما مثل قوله:" كمثل الكَفَّين"(١٨٣)، والكفان جزء من اليدين، "مثل اليدين"(١٨٤)، هكذا بلا تحديد، وقد يكون في المثل تحديد لعمل اليدين، كقوله:"مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى"(١٨٥)، وقوله:"كَهاتَيْن، ويشير بإصبعيه فيمدُها"(١٨٦)بالإشارة بإصبعه، فاستخدم الإصبع في ضرب المثل "كهذا

---

(١٨٠) إتحاف السادة المتقين ٤٣٣/٤.

(١٨١)رواه البخاري في الأدب المفرد ٤٨/٢ وأبو الشيخ الأصبهاني رقم (٢١٧).

(١٨٢) أمثال الحديث الرامهرمزي رقم (٨٠).

(١٨٣)كنز العمال ٧٢٨، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

(١٨٤) كنز العمال ٧٦٤، إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٧٤/٦، ٢٠٤.

(١٨٥) إتحاف السادة المتقين ٢٠٤/٦، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي ١٥٦/٢

(١٨٦)رواه البخاري: الرقاق (٦٥٠٣) ٣٤٧/٤ وفيه ثلاثة أحاديث عن سهل بن سعد وأنس وأبي هريرة بلفظ واحد أو متقارب ومسلم في الجمعة باب قرب الساعة، وأحمد ٣٠٩/٤، ٩٢/٥، ١٠٣-١٠٨.

وأشار بإصبعيه السبَّابة والوسطى"(١٨٧)، "كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى"(١٨٨) بما يدل على القرب والاقتران.

هـ ـ الرحم: مثل قوله: " مثل الرَّحم، هي ضيقة، فإذا صارفيه الولد اتَّسع"(١٨٩)، ودلنا عليه علم التشريح، وهو مما استقر في الأذهان عقلا. فيمثل بما استقر في اعتقادهم، وإن لم يروه.

و ـ **الرجلين**: مثل قوله: "كمثل رجل أمر أن يرفع إحدى رجليه ويضع الأخرى، فهو ينتظر متى يُؤْمَرُ بوضعها"(١٩٠)، فيصور بفعل من طبيعة الإنسان، أنه لو رفع رجله فسوف يضعها.

ز ـ **الضلع**: كقوله: "كالضلع، "إذا ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركتها، استمتعت بها وفيها عوج"(١٩١)، وفي ها إشارة إلى عدم الاستقامة الكاملة المرجوة.

ح ـ **ما يتصل بالأعضاء**، كقوله: "بمنزلة السمع والبصر من الإنسان"(١٩٢)، فلم يذكر الجارحة، فربما كان للإنسان عين ولا يبصر بها، وربما كان للإنسان

---

(١٨٧)البخاري في الطلاق ٤٣٩/٩، وفي الأدب باب أفضل من يعول يتيماً ٣٦/١٠ .

(١٨٨)رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٤٩) ٣٤٧/١١. ومسلم في الفتن (٧٢٦٠-٧٢٦٥) ٤٠١/٨

(١٨٩) أبو الشيخ في الأمثال في الحديث النبوي صـ٣٠٦.

(١٩٠) رواه الترمذي في كتاب الأمثال من الكتاب والسنة صـ٥٠.

(١٩١) رواهُ مسلم في الرضاع (٣٥٨٠) وانظر (٣٥٨١-٣٥٨٥) باب الوصية بالنساء ١١٤٦/٤-١١٤٧.

أذن ولا يسمع بها، ولكن السمع والبصر، نص على النعمة التي أنعم الله بها على الإنسان، ففيها الفائدة المرجوة التي يحتاجها الإنسان.

وهذا يدل على أن البيان النبوي استخدم أقرب شيء للإنسان "من جسده وأعضائه، فمثل بها وضرب بها الأمثال، حتى يوضح ما بعد عن ذهنه أو بصره، أو يظهر له حقيقة الشيء، بحقيقة يدركها ويعلمها من نفسه.

عادات الإنسان: من طعام وشراب: "كمثل الذي يُهْدي بعدما يشبع"(١٩٣)، فيظهر التصرف غير المحمود، الذي يُنتقد عند الناس، لمجافاته الأفضلية.

وقد مثل البيان النبوي بما يتصل بالإنسان من العادات كطعامه وشرابه: مثل قوله: "كالملح في الطعام...."(١٩٤)، ونعلم أن الملح في الطعام قليل، وأنه مما يصلح الطعام ويعطيه طعما مستساغا، ولذلك وجدنا في تمثيل آخر قوله: "كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح"(١٩٥)، وقوله: "كفضل الثريد على سائر الطعام"(١٩٦).والثريد أفضلية على سائر الأطعمة

---

(١٩٢) رواه الترمذي ١٠/١٥٤ والحاكم ٣/٦٩، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٤٧٢ـ٤٧٧رقم ٨١٤-٨١٥)، وأحمد في فضائل الصحابة ١/٤٣٢ رقم ٦٨٦ وأبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي رقم٣١٠

(١٩٣) أبو داود ١٠/٥١٥، الترمذي ٦/٣١٦ النسائي ٦/١٩٩ أحمد٥/١٩٧ كتاب الأمثال في الحديث النبوي لأبي الشيخ صـ٢٨٠ رقم ٣٢٧.

(١٩٤) البخاري ٧/١٢١.

(١٩٥) مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/١٨.

(١٩٦) رواه البخاري في فضائل الصحابة (٣٧٧) ٧/١٠٦، ومسلم: في الفضائل ٦١٨٢، ٩١٨٣، باب من فضل عائشة ٧/٦٣..وغيرهما.

بل استخدم حياة الإنسان وموته فمثل بهما: "مثل الحي والميت "(١٩٧)، ليظهر بُعد ما بينهما.

وضرب الأمثال بالآلات التي يستعين بها الإنسان في حاجاته الخاصة: فقال: "مرآة أخيه؛ فإن رأي شيئاً فليمطه عنه"(١٩٨) بلا أداة تشبيه أو تمثيل لدعاء للاتحاد بين طرفي التشبيه، وقوله: "كأسنان المشط "(١٩٩)،بما يدل على المساواة؛ لأن أسنان المشط متساوية.

٢ـ الحيوانات: وإذا تركنا الإنسان وما يتعلق به، واتجهنا ما يرافق حياة الإنسان في الكون، وهو الحيوان، وجدنا التمثيل النبوي لا يغفل دور الحيوان، ويضرب الأمثال به، فالحيوانات تعيش في البيئات، وسنذكر البيئات بعد ذلك، إلا أن كثرة ذكر الحيوان في أمثال البيان النبوي جعلني أخصه بعنوان، ومن الحيوانات التي وقع ضرب الأمثال بها في البيان النبوي:

البعير: مثل قوله: " كمثل رجل اشترى بعيراً وإبلاً فرعاها "(٢٠٠)، وقد يخصص حالة من حالات البعير"مثل البعير الذي يَتَرَدَّى في الرَّكِيِّ يَنْزِعُ بِذَنَبِهِ"(٢٠١)، وقد يكون التمثيل بالبعير والإبل، كقوله: " كمثل رجل اشتري بعيراً

(١٩٧) رواه البخاري في الدعوات، (٦٤٠٧) ٢٠٨/١١ ومسلم، في الصلاة، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته برقم (١٧٩٢) ٢١١/٣.

(١٩٨) رواه أبو داود ٥٧٨/٢، والترمذي ٣٢٥/٤-٣٢٦، البيهقي ١٦٧/٨.

(١٩٩) أبو الشيخ رقم (١٦٦).

(٢٠٠)رواه أبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي رقم (٢٩٩) والطبراني في الكبير ٤٩/١٨ رقم ٢٠٥٧.

(٢٠١)أمثال في الحديث الرامهرمزي رقم (٦٤)، والحاكم في المستدرك ١٥٩/٤.

وإبلاً فرعاها ثم أوردها فأشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدرته"(٢٠٢)، وقد يكون التمثيل ببعير معين،كقوله: "كبعير كان يعقله أهله، فينفر منهم مرَّة، ثم عقلوه وأحسنوا إليه كما كانوا يفعلون أوَّل مرَّة"(٢٠٣)، مما يدل على معرفة القائل والقابل لخصائص الإبل وحياتها، فذكرها وذكر أحوالا لها.

الشاة: كقوله: "كمثل رجل أتي راعياً، فقال:يا راعي أجزرني شاة من غنمك، فقال له: اذهب فَخُذْ بِإِذْنِ خَير شاة، فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم "(٢٠٤)، فيمثل برد فعل الرجل مع الشاة، وكلب الغنم، فكلمة واحدة تشملهما.

وقوله: "كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلي هذه مرة وإلي هذه مرة [لا تدري أهذه تتبع أم هذه]"(٢٠٥). مما يدل على حيرتها وعدم ثباتها.

العنزة: كما في الحديث"لا ينتطح فيها عنزان " قال: فهي أوَّلُ ما سمعت منه"(٢٠٦) يضرب مثلاً للأمر يبطل ويذهب فلا يكون له طالب، مما يدل على أن هذا الموقف مورد المثل، فتشبيه مورد المثل بمضربه يكون على سبيل الاستعارة التمثيلية، أما المورد نفسه فهو على سبيل الاستعارة والمقصود : لا يتجادل فيها اثنان.

---

(٢٠٢) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي رقم (٢٩٩) .

(٢٠٣) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم(٣٠٣).

(٢٠٤) أحمد ٣٥٣/٢، ٤٠٥، ٥٠٨،الأمثال في الحديث النبوي رقم (٢٩١).

(٢٠٥) رواه مسلم في التوبة (٦٩٠٥) باب: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٧٣/٨.

(٢٠٦) انظر المثل في: جمهرة الأمثال ٣١٣/٢-٣١٤ مجمع الأمثال ١١٧/٢، والمستقصي ٢٨٥، والحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٧/٢.

الإبل والجمل، أو الراحلة: كقوله: "كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد " يدل على شدة الذلة والطاعة، وقوله:" كالجمل الأنف، إن انقيد انقاد، وإن أنيخ على صخرة استناخ"(٢٠٧)، تأكيد على ذلك المعنى، فورد المعنى بأكثر من لفظ، وقوله: "كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة"(٢٠٨)، ما يدل على التشابه، وقوله: "كَمَثَلِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَة، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ"(٢٠٩)، يدل على الحث على الحفظ والاهتمام، وقوله: "مثل رجل في فلاة من الأرض، معه زاده وراحلته، فنفرت راحلته فاتَّبعها، فما زادها إلا نفوراً، فقال: دعوني فإني أعلم بناقتي منكم، فعمد إلي قُمام الأرض يعني الحشيش فجعل يقول: هوي هوي، حتى رجعت فأناخها فحمل عليها زاده، ثم استوي علي متنها... "(٢١٠)، وهي قصة تمثيلية، يحتمل وقوعها، وتدل على حسن سياسية الراعي لرعيته، وصاحب الإبل لإبله ومعرفته بما يصلحهم، ما ينفع لهم.

واستعملت كلمة راكب: والراكب في ذلك العصر كان يركب فرسا أو جملا أو ناقة، فقال:"كمثل راكب قال في ظل شجرة "(٢١١)، وإن كانت تشمل الراكب بالوسائل الحديثة هذه الأيام، فالمقصود استراح لفترة وجيزة، وقوله: "فَإِنّ المُنْبَتَّ

---

(٢٠٧) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ١٦/١ رقم ٤٣، وخرجه أبو الشيخ (٢٠٦).

(٢٠٨) رواه البخاري في الرقاق (٣٥) باب رفع الأمانة ٣٣٢/١١.

(٢٠٩) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده برقم(٥٠٣١)٧٩/٩.

(٢١٠) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي رقم ٢٥٧ واللفظ له، وأحمد في المسند ٢٨٨/٢ برواية أخري.

(٢١١) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي برقم ٢٩٧.

لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقي"(٢١٢)، وهو المسرع المتعجل، والظهر المقصود به الدابة التي يركبها، كناية عن هلكتها.

الفرس: في قوله: " كمثل فرس علي آخيته يجول ثم يرجع إلي آخيته "(٢١٣)، أي ممسوك بها، لا مجال لفراره، ولكن مسيره محدود بما تتيح له آخيته، "كفرسي رهان سبق أحدهما الآخر بأذنه"(٢١٤)، أي يوشك أن يتلازما، والفرق بينهما قليل جدا.

الثور والبقرة: كقوله: "الذي يتخلل بلسانه كما يتخلل الأباقر"(٢١٥)، وهو يعطي إشارة مذمومة، " إلا كشعرة سوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود"(٢١٦)، فالثور أبيض، والشعر الأسود يتضح أنه قليل فيه، وكذلك العكس، وإن كانت البقرة غير مشهور تربيتها أو الثور في الجزيرة العربية وورودها ما يدل على أن الإسلام دين عالمي، وأنه سيفتح بلادا يشتهر به هذا النوع من الماشية، وأن تأديب النبي صلى الله عليه وسلم من ربه، وليست ثقافته من بيئته فقط، ومع ذلك فالأمثال التي ضربها بهما، يقبلها الإنسان ويستطيع أن يتخيلها ولو لم يوجد في بيئته هذه الحيوانات.

---

(٢١٢) المنبت: بت الرجل في السير، جهد دابته حتى أعيت.

(٢١٣)الترمذي في: الأمثال من الكتاب والسنة صـ٥٣.

(٢١٤) الأمثال من الكتاب والسنة للترمذي صـ ٥٤، وانظر أحمد ٣٣١/٥.

(٢١٥)رواه الترمذي ١٤٥/٨ وقال حديث حسن وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٨٨٠ وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم (٣٠٢).

(٢١٦البخاري ١٧٨/١٤، وانظر: ١٩٦/٧، ٥٧/١٠، ١٨٣/١٤٢ وغيرها بألفاظ مختلفة.

النعم: كقوله: "فَلَهُو أشد تَفَلُّتاً من صدور الرِّجال من النعم بِعُقُلِها"(٢١٧)، فالنعم إذا لم تعقل انفلتت، فمثل بهذه الصورة.

ما يتصل بالحيوان من التقييد: كقوله: "قيدوا العلم... "(٢١٨) وهذا على سبيل الاستعارة، فالقيد في يكون للحيوان، وهذه صفة يتصف بها الحيوان، فهو يعقل ويقيد لئلا يفر وينفلت.

السباع من الحيوان:

الكلب: كقوله: "أن رجلاً كان فيمن قبلكم، استضاف قوماً فأضافوه، ولهم كَلْبَة تنبح، قال: فقالت الكلبة: والله لا أنبح ضيفَ أهلي الليلة.قال: فعوى جراؤها في بطنها فبلغ ذلك نبياً لهم، أو قيلاً لهم فقال: مثل هذه مثل أُمة تكون بعدكم..."(٢١٩)، وهذه القصة، تدل على ما يحدث على غلبة العادة السيئة، وقوله: "كالكلب يقيئ ثُمَّ يعود في قَيْئته فيأكله"(٢٢٠)، وهي صورة مقززه، تحمل معنى لا يستساغ، فكيف يقبل أحد أن يتصف به، وقوله: " إن الكلب يهر علي أهله"(٢٢١)، وهذه بطبيعته.

الأسد: كقوله: "كمثل حَيِّزٍ حين بني فرفعت حيطانه، وسُدَّت أبوابه، وطُرِح فيه من الوحش كلها، ثم جيء بالأسد فَطُرِح وسطها، فانذعرت، فثملت إلي النفق

---

(٢١٧) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب: استذكاره وتعاهده برقم (٥٠٣٢)٧٩/٩.

(٢١٨) رواه الترمذي في: الأمثال من الكتاب والسنة صـــ٤٢.

(٢١٩) رواه أحمد ١٧٠/٢، مجمع الزوائد ١٨٣/١، ٢٨٠/٧، أمثال الحديث الرامهرمزي صـــ١٠٠ رقم (٦٠).

(٢٢٠) رواه البخاري في الهبة (٢٦٢١) ٢٣٤/٥.

(٢٢١) أبو الشيخ الأصبهاني رقم (١٩٩).

تلحسه من كل جانب"(٢٢٢)، وهذه لوحة متحركة تظهر ما يحدق بهم من الهلاك والفزع. وقوله: " كمثل الذي ينهشه الأساود يوم القيامة"(٢٢٣)، فهي صورة توضح ما فيه من الخطر.

الثعلب: "كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين فيخرج وله حصاص حتى إذا انبهر وأعيا قالت الأرض: يا ثعلب أدِّني ديني، فيخرج وله حَصاصٌ، حتى إذا عَيِي وانبهر انقطعت عُنُقُهُ ومات"(٢٢٤)

الفرا، وهو الحمار الوحشي: كقوله: "كما قال الأوّل "كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا، أوفي جنبِ الفرا"(٢٢٥)والمثل قديم، وأصله أن قوماً خرجوا للصيد، فصاد أحدهم ظبياً، وآخر أرنباً، وآخر فرَاً، وهو الحمار الوحشي، فقال لأصحابه (كل الصيد في جوف الفرا) أي جميع ما صدتموه يسير في جنب ما صدته.

الخنزير: كقوله: "فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه"(٢٢٦) وهي صورة غير مقبولة، وإن كانت الخنازير غير مشهور تربيتها في بيئة الجزيرة العربية، إلا أن نجاسة الخنزير، وقذارته لا تحتاج أن يراه الإنسان،ولكن يكفي تصور ذلك، وكذلك قوله: "كمثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير، ثم قامَ فصلّي "(٢٢٧)

---

(٢٢٢) أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم (٣٤٤).

(٢٢٣) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٢٢.

(٢٢٤) أمثال الحديث الرامهرمزي (٧١) ورواه ابن كثير في التفسير ٤/٢٢٥، ٢٦٥

(٢٢٥) انظر المثل في:جمهرة الأمثال ٢/١٣٥ والمثل في جمهرة الأمثال ٢/١٣٥-١٣٦، مجمع الأمثال ٢/٥٤، والمستقصي ٢٦٧.

(٢٢٦) رواه مسلم في الشعر برقم: ٥٧٨٧ ، ٧/٢٠٥.

(٢٢٧) رواه الترمذي في الأمثال من الكتاب والسنة صـ٤٤

جيفة: وهي الحيوان الذي مات، وألقي وفاحت رائحته" كأنما قاموا علي أنتن من الجيفة"([٢٢٨])، وهي صورة مشهورة في كل مكان تهلك في الدواب، وقوله: "كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب"([٢٢٩])، أي لا تصلح إلا للكلاب.

الطيور:

النحلة: كقوله: "مثل النحلة، إن أكلت أكلت طيباً، وإن وضعت وضعت طيباً، وإن وقعت علي عود نَخِرٍ لم تكسره" ([٢٣٠])، فهذه صورة حسنة، ترغب من يسمعها أن يتصف بها، وكذلك قوله: " كمثل نحلة تأكل من الحلو والمر ثم تمسي حلواً كله "([٢٣١])، وقوله: "كمثل النَّحلة أَكَلَتْ طَيِّباً ووضعت طيبا ووقعت فلم تكسر ولم تفسد"([٢٣٢]).

الغراب: كقوله: " كمثل غراب أبقع في غربان كثيرة، أو قال الغراب الأعصم"([٢٣٣])، مما يدل علي قلته، وكذلك قوله: "كمثل الغراب الأبلق أو الأعصم"([٢٣٤])

ما يتصل **بالطير كالريش**، مثل قوله: "مثل المؤمن كمثل ريشة بفلاة تقلبها الريح".

([٢٢٨]) رواه أبو الشيخ في كتاب الأمثال في الحديث النبوي صـ ٣٢٢، ٢٧٣.

([٢٢٩]) الدرر المنتثرة، للسيوطي صـ٨٥.

([٢٣٠])السيوطي في الجامع الصغير ٢/١٥٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٥٥.

([٢٣١])أبو الشيخ في كتاب الأمثال في الحديث النبوي صـ٤٠٨ رقم ٣٥٩.

([٢٣٢]) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٤٣، ورواه الرامهرمزي في أمثال الحديث رقم ٢٩

([٢٣٣])أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٣٨.

([٢٣٤]) مجمع الزوائد ٤/٢٧٣-٢٧٤-٢٠١.

البيئات:

٣ـ ما يتعلق بالبيئة الصحراوية:

الفلاة أو الصحراء، وما يحدث بها من جمع الحطب وإضاءة النار، وأكل النار للحطب، وإطفاء النار بالماء: كقوله: " كَمَثَلِ قَوْمٍ سَلَكُوا مَفَازَةً غَبْرَاءَ"(٢٣٥)، وعاش النبي صلى الله عليه وسلم هذه البيئة التي بها صحراء، ومع ذلك يوضح الصورة حتى يستطيع من لم يسكن هذه البيئة أن يتصور ما فيها، وقوله: " كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل يجيء بالعود، والرجل يجيء بالعويد، حتى جمعوا من ذلك سواداً، ثم أَجَّجوا ناراً فأنضجت ما قذف فيها"(٢٣٦)، فجمع أعواد الحطب القليلة حتى أصبحت كثيرة، فالقليل إلى القليل كثير، يوضحه النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصورة التي يحتمل فرضية وجودها، وقوله: " **كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا**،"(٢٣٧)، وإيقاد النار غير غريب في بيئة البادية فللنار فوائد جمة، فأخذ من هذا المظهر المنتشر ما يوظفه لإظهار مثاله، مما يريد أن يوضحه للمستمع، وقوله: "مثل الفتيلة تضيء للناس"(٢٣٨)، صورة مألوفة في البادية عند العرب، وقوله: " **كمثل الذي يلتقط الجمر**"(٢٣٩)، والجمر يكون بعد خمود النار، وقوله: "كما تأكل النار الحطب"(٢٤٠)، " كما يطفئ الماء النار"(٢٤١). وهذه أمثلة مألوفة لمن يضيء النار في هذه البيئة.

(٢٣٥) كتاب أمثال الحديث، الرامهرمزى رقم (٢٣) ص ٥٩.

(٢٣٦) كتاب الأمثال في الحديث النبوي، أبو الشيخ الأصبهاني، برقم (٣١٩).

(٢٣٧) فتح الباري، في الرقاق (٢٦) باب: الانتهاء عن المعاصي ٣١٦/١١،وفي غيره.

(٢٣٨) مجمع الزوائد ١٨٤/١، الترغيب والترهيب ١٢٦/١، ٢٣٥/٣.

(٢٣٩) مسلم الزكاة رقم ١٠٥.

(٢٤٠) رواه أبو داود ٥٧٤/٢، وابن ماجه ١٤٠٧/٢ وإسناده ضعيف.

(٢٤١) رواه أبو داود ٥٧٤/٢، وابن ماجه ١٤٠٧/٢ وإسناده ضعيف.

٤ــ البيئة الزراعية، وما يتعلق بها من نباتات، وزهور وثمار:

١ــ النخلة: كقوله: "مثل النخلة"(٢٤٢)، فالنخلة واضحة لكل ذي عينين، في البيئة الصحراوية والزراعية وغيرها.

٢ــ الخامة: " كَمَثَلِ الخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ"(٢٤٣)، نوع من الزرع، توضحه الصورة،

٣ــ الأرزة: " كَمَثَلِ الأَرْزَةِ الْمجْذِيَةِ"(٢٤٤)، وهو نبات صلب، يكسره الريح، وإن لم يكن منتشرا في البيئة العربية، وقوله: " كمثل السنبلة"(٢٤٥)، عكس الأرزة، في تعاملها مع الريح، لكنها منتشرة أكثر في غير بيئة الجزيرة العربية، وموجودة في بعض الأماكن في الجزيرة العربية، مما يعطينا إيحاء بأن المشبه به لم يكن من شروطه أن يكون من البيئة التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم وعاشها من يستمع حديثه.

الشجرة : كقوله: " كشجرة أصابها الماء من مكان بعيد" (٢٤٦)، وهذه صورة معروفة لكل إنسان نظريا، ولا تحتاج خبرة لكي نقف عليها، ولكنها مما وقر في الذهن أن الشيء القريب سهل، والشيء البعيد صعب. وقوله: " كمثل راكب قال في ظل شجرة "(٢٤٧)، يدل على الفترة الوجيزة التي يقضيها في هذا المكان، فهو

(٢٤٢) رواه البخاري في كتاب العلم، باب (٤) قول المحدث: حدثنا رقم ٦١/ ١٤٥.

(٢٤٣) رواه البخاري في المرضى (٥٦٤٣)، ١٠/١٠٣.

(٢٤٤) رواه البخاري في المرضى (٥٦٤٣) ، ١٠/١٠٣.

(٢٤٥) أحمد في المسند ٣/٣٤٩.

(٢٤٦) أبو الشيخ، في الأمثال في الحديث النبوي (رقم ٣٣٩).

(٢٤٧) أبو الشيخ الأصبهاني، في الأمثال في الحديث النبوي برقم ٢٩٧.

ليس بحاجة إلى تأسيس وجمع حاجياته، لأنه يعلم أنه سيترك المكان بعد قليل، وقوله: "كشجرة ذات جني، يوشك أن تعود كشجرة ذات شوك، "(٢٤٨)، والفرق معروف بين الشجرة المثمرة ثمرا مفيدا، والثمرة التي لا تجد بها إلى الشوك.

النبات الأخضر: كقوله: "إيَّاكم وخضراء الدِّمن "(٢٤٩)، واضح المفارقة النبتة الخضراء اليانعة في وسط الدمن القذرة.

الثمار:

أ ــ **الأترجة:** كقوله: " مثل الأترجة"(٢٥٠)، وهي نوع من الفاكهة ،

ب ــ **التمرة** : كقوله: "مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو"(٢٥١)، وهي ثمرة النخيل المنتشر في البيئة العربية، وكقوله: "كما يُنتَقَي التمر من الحُثَالة "(٢٥٢)، يعطينا صورة لما كانوا يفعلونه في فرز التمر الجيد من الحثالة منه.

ج ــ **الحنظل:** مثل قوله: "مثل الحنظل ليس لها ريح وطعمها مر"(٢٥٣)، وهو ثمرة معروفة في البادية، ويوضحها لمن لا يعرفها.

الزهور: مثل قوله: "مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر"(٢٥٤)، وهي الوردة.

---

(٢٤٨) أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم (٣١١).

(٢٤٩) انظر: جمهرة الأمثال ١/٢٣-٢٢.

(٢٥٠) البخاري، باب: إثم من راءي بقراءة القرآن أو تأكل به أو فجر به ٩/١٠٠.

(٢٥١) البخاري، ٩/١٠٠.

(٢٥٢) أخرجه البخاري في التاريخ ٢٥، والترمذي في كتاب الأمثال في الكتاب والسنة صـ٣٤٤ رقم ٢٩٣.

(٢٥٣) رواه البخاري ٩/١٠٠.

٥ــ بيئة المياة:

أولا: البحار: كقوله: " كمثل قوم استهموا علي سفينة"([٢٥٥])، فذكر ما يحدث في السفن عن الاختلاف، وصفات أهلها، وما يكون بينهم، وكيف تكون قسمتها، على الرغم من أنه صلى الله عليه وسلم لم يركب البحر قط، ولم يخبر حياة البحر وحياة السفن، ولكنه يمثل بحياة البحر كإنسان خبير بما فيه، وهذا يدل على أن الإسلام دين لكل بيئة، ولكل زمان ومكان، فالنبيّ صلى الله عليه وسلم لم يكتف بما في بيئته، ولكن أخذ من أكثر من بيئة، يفهم المثل من لم يخبر البيئة، ويزداد عمقا وعلما من خبر هذه البيئة، وكذلك قوله: "كمثل قوم ركبوا سفينة ".

ثانيا: الأنهار: كقوله:"أرأيتم لو أنّ نهراً بباب أحَدِكم يَغْتَسِلُ فيه كلَّ يومٍ خَمْسَ مرَّاتٍ، هل يبقىَ من درنه شيء؟ "([٢٥٦])، ومعروف أن بيئة شبه الجزيرة العربية ليس بها أنهار، فكيف يضرب المثل ويشبه بشيء لا يعرفونه؟، لكننا نجده صلى الله عليه وسلم، يأخذ من البيئة ما يستطيع العقل أن يستوعبه ويتخيله ويفهمه، ولذا أتى ضرب المثل على هيئة استفهام، وسؤال، لكي يعرف مدى استيعابهم لهذه الصورة المتخيلة بالنسْبة لمن يعيشون في الصحراء الجرداء التي لا أنهار فيها، وكذلك قوله: "مثل رجل في نهر يسبح فيه"([٢٥٧])

ثالثا: الآبار: والآبار منتشرة في شبه الجزيرة العربية، من ذلك قوله: "رأيت الناس اجتمعوا، فقام أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف، والله يغفر

([٢٥٤]) رواه البخاري ٩/١٠٠.

([٢٥٥]) رواه البخاري ٥/٢٩٢ -٢٩٣.

([٢٥٦]) رواه البخاري، في الصلاة (٥٢٨) باب الصلوات الخمس كفّارة ٢/١١.

([٢٥٧]) الأمثال من الكتاب والسنة، للترمذي صـ٥٣-٥٤.

له، ثم قام عمر بن الخطاب فاستحالت غَرْباً، فما رأيت عبقرياً من الناس يفري فرية، حتى ضرب الناس بعطنٍ"(٢٥٨)، وصورة نزع الماء من البئر بتؤدة وضعف، وبشدة وقوة، معروفة لدى من يعيش هذه البيئة، ولكن من لم يعشها، تتضح الصورة ويفهم المراد منها، وكذلك قوله: " كمثل ينبوع من ماء يسقي بلده ومن مرَّ به،..."(٢٥٩)، فخير الماء على الجميع.

رابعا: الأمطار: كقوله: "كمثل الأرض والغيث "(٢٦٠) وقوله:" كَمَثَلِ غَيثٍ أَصَابَ أَرْضاً "(٢٦١)، وقوله: "كمثل المطر، لا يدري أوله خير أم آخره"(٢٦٢). والمطر معروف في كل البيئات ، فلا يستغرب في بيئة، ولكنه مشبه به وكذلك بفعله في الأرض، وتأثيره.

٦ــ **الأعمال وما يتصل بها من الإجارة وغيرها :** ولم يترك النبي صلى الله عليه وسلم بيئة الأعمال، والإجارة وإعطاء الأجرة، والعمال والعبيد، وغير ذلك من تفاصيل هذا الحياة برزت في أمثاله صلى الله عليه وسلم، في مثل قوله: "إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجل، استعمل عــمَّالاً "(٢٦٣)، وقوله: "أرأيت لو كان عبدان أحدهما:يكذبك والآخر لا يكذبك ولا يخونك ويصدقك، أيهما أحب إليك؟

(٢٥٨) الترمذي رقم ٢٢٨٩ من طريق موسى ابن عقبة، وأبي هريرة.

(٢٥٩) رواه الترمذي في: الأمثال من الكتاب والسنة صـــ٣١.

(٢٦٠) أبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٤٩.

(٢٦١) رواه البخاري، ١٧٥/١، ومسلم، رقم ٢٤٤/٧-٢٤٥ واللفظ له...وغيرهم.

(٢٦٢) رواه الترمذي في الأمثال (٢٨٦٩)٨/١٧٠. وأبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال في الحديث النبوي برقم ٣٣٠ - ٣٣١.

(٢٦٣) رواه البخاري، ٤/٤٤٤-٤٤٦.

قلت: الذي لا يكذبني ولا يخونني ويصدقني، قال: وكذلك أنتم عبيد ربكم" (٢٦٤)، وقوله: " كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو وَرِق فقال: هذه داري وهذا عملي، فاعمل وأدّ إلي، فكان يعمل ويؤدي إلي غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك"(٢٦٥)،وقال عنه ابن القيم: "هو من أحسن الأمثال وأعظمها تقريباً إلى الأفهام"(٢٦٦). وكذلك بيئة أصحاب الحرف وما يدخل في صناعتهم وحرفتهم، من مثل قوله: " كمثل صاحب المسك، وكير الحداد،"(٢٦٧). فلا يحقر الصنعة، ولكن يظهر أثر مصاحبة هذا أو ذاك.

٧ـ **البناء والمنازل والأبنية**: كقوله: "كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَاراً "(٢٦٨)، وبناء الدور والبيوت موجود في كل زمان ومكان.

وقوله: "إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلي كنفي الصراط سوران لهما أبواب مُفَتَّحة، وعلي الأبواب ستور مُرْخاة، وعلي باب الصراط داع يقول: أيها الناس ! ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعرجوا، وداع يدعوا من فوق الصراط، من فوق الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: وَيْحَكَ لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تَلِجْهُ،..." "(٢٦٩)، وهذا المثل، ضربه الله تعالى، ففي البيان النبوي

---

(٢٦٤) الأمثال من الكتاب والسنة صـــ٤٢.

(٢٦٥) إعلام الموقعين ١/٢٣٠ -٢٣١

(٢٦٦) نفسه: ١/٢٣٠ -٢٣١

(٢٦٧) رواه البخاري في البيوع ٣٨ باب: في العطار وبيع المسك ٣٢٣/٤.

(٢٦٨) رواه البخاري، في المناقب (٣٥٣٥، ٣٥٣٤) باب خاتم النبيين ٥٨٨/٦.

(٢٦٩) إعلام الموقعين ١/٢٣٢-٢٣٣.

ينسب المثل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي مواضع ينسب إلى غيره، كما في هذا المثال، فقد ضرب الله المثل، ويظهر الأبواب.

أو قول الملائكة "إِنَّ لِصَاحِبِكُم هَذَا مَثَلاً، قالوا: فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلاً، قالوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بني داراً وَجَعَلَ فِيهَا مأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيا فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّار وَأَكَلَ مِنَ الْمأْدُبَةِ..." ([٢٧٠]) وفي هذا المثل نجد نسبته للملائكة، كما في المثل السابق، الذي نسب إلى الله تعالى، وقوله: "...كالبنيان يشد بعضه بعضا "([٢٧١]) وهو مثل يوضح مدى التماسك بين أجزاء البنيان لكي يستقيم.

٨ـ ضرب الأمثال بالغيبيات التي يؤمن بها المؤمنون:

ضرب الأمثال بالملائكة والأنبياء والصالحين: كقوله: "ألا أخبركما بمثلكما من الملائكة ومثلكما في الأنبياء" ([٢٧٢])، وقوله: "مثل صاحب ياسين دعا قومه إلي الله "([٢٧٣]). فمثلهما بما هو معروف عند المسلمين من علم بأنبياء الله ورسله والصالحين الذين ذكر الله قصتهم في كتابه، فلما شبه بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقد شبه بمعلوم لهم .

الشياطين: كقوله: "مثل ذلك كمثل شيطان لقي شيطانة فوقع عليها والناس ينظرون "([٢٧٤])، ولا يخفى ما في المثل من قبح وشناعة الفعل، أو قوله "مثل شيطان لقي شيطانة في سكة فنكحها والناس ينظرون"([٢٧٥]).

([٢٧٠]) رواه البخاري، في الاعتصام (٩٠) باب (٢): الاقتداء بسنة النبي ٢٤٩/١٣.

([٢٧١])رواه البخاري، رقم (٦٠١١) ٤٣٨/١٠.

([٢٧٢])مجمع الزوائد ٥١/٩،وأبو الشيخ، الأمثال في الحديث النبوي ص ٣٦٢ رقم ٣١٠.

([٢٧٣]) رواه الترمذي في الأمثال (٢٨٦٦).

([٢٧٤])مصنف ابن أبي شيبة ٣٩١/٤.

([٢٧٥])عمل اليوم والليلة، لابن السني ٦٠٩.

٩ـ الأمثال:

ضرب الأمثال بالإشارات والتخطيط والحركة: وقد وقع التشبيه بإشارات النبي صلى الله عليه وسلم توضيحية، فكما وضح صلى الله عليه وسلم بأمثلة من البيئة التي يعيشها أو لم يعشها، لكن عقول المسلمين استوعبت التشبيه، فقد شبه بإشارته التوضيحية، مثل قوله: "ليس أن يقول هكذا وهكذا" (٢٧٦)، وهو يمد يده ورفعها حتى يقول هكذا، وفرج بين إصبعيه "(٢٧٧)، وقوله: "الشَّهرُ هكذا وهكذا وهكذا "وعقد الإبهام في الثلاثة "، والشهر هكذا وهكذا وهكذا"يعني تمام الثلاثين"(٢٧٨) ، وهذا التوضيح بهذا الحالات من حركته وحاله صلي الله عليه وسلم تسمي عند البيانيين بالنصبة، فحاله وطريقة جلسته أو وقفته، أو نظرته وانتصابه تعطي معنى معينا، لا يقوله اللفظ، ولكن يقوله نصبته، مثل هذا الحديث الذي يصف وضعه: "وكان رسول الله ــ ﷺ ــ مُتَّكِئاً فجلس فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت"(٢٧٩)، وقد يكون التمثيل التوضيحى بالتخطيط على الأرض مثل هذا الحديث الذي يصف تخطيطه صلى الله عليه وسلم التوضيحي: "خط النبي صلي عليه وسلم خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خططاً صغاراً إلي هذا الخط الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال:

---

(٢٧٦) أخرجه البخاري في الصلاة (٦٢١) ٢/١٠٣. .

(٢٧٧) مسلم في الصيام (٢٥٠١٩ ، ٤/٢٤٦.

(٢٧٨) رواه البخاري في الصوم (١٩١٣)، ٤/١٢٦.

(٢٧٩) رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤) ، ٥/٢٦١ .

هذا الإنسان، وهذا أجله"(٢٨٠)، أو قوله: "خَطَّ النبي ـ ﷺ ـ خطوطاً فقال هذا الأمل وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ الخط الأقرب"[٢٨١]

الأمثال: مثل قوله: "لا يلسعُ المؤمن من جُحْرٍ مرّتين"(٢٨٢)، وهو مَثَل يضرب لمن يقع في الخطأ ثم يعاود الوقوع فيه، ولا يتعلم مما سبق، وقوله :"لا ينتطح فيها عنزان " قال: فهي أوَّلُ ما سمعت منه صلى الله عليه وسلم"(٢٨٣) يضرب مثلاً للأمر يبطل ويذهب فلا يكون له طالب، وفي الحديث يستشهد بقول من قال من أمثال العرب، فيشبه مضرب المثل بمورده فقال: "كما قال الأوَّل "كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا، أو في جنبِ الفرا"(٢٨٤) والمثل قديم، وأصله أن قوماً خرجوا للصيد، فصاد أحدهم ظبياً، وآخر أرنباً، وآخر فرأً، وهو الحمار الوحشي، فقال لأصحابه (كل الصيد في جوف الفرا) أي جميع ما صدتموه يسير في جنب ما صدته.

وفي الحديث: "أسلم مولي عمر قال: خرجت سفراً فلما رجعت قال لي عمر:من صحبت ؟ قال: قلت رجلاً من بني بكر، فقال له عمر:أما سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول: أخوك البكري فلا تأمنه"(٢٨٥)، وفي رواية أخرى:"إذا

(٢٨٠) رواه البخاري في الرقاق ٧٤) في باب (٤) في الأمل وطوله ٢٣٥/١١.

(٢٨١) رواه البخاري في الرقاق باب: الأمل وطوله ١٣٦/١١.

(٢٨٢) البخاري ٣٨/٨بلفظ لا يلدغ. جمهرة الأمثال ٣٠٢/٢-٣٠٥ والمثل في مجمع الأمثال ١/٢ والمستقصي ٢٨٥، لسان العرب (لسع).

(٢٨٣)انظر المثل في: جمهرة الأمثال ٣١٣/٢-٣١٤ مجمع الأمثال ١١٧/٢، والمستقصي ٢٨٥، والحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٧/٢.

(٢٨٤)انظر المثل في:جمهرة الأمثال ١٣٥/٢ والمثل في جمهرة الأمثال ١٣٥/٢-١٣٦، مجمع الأمثال ٥٤/٢، والمستقصي ٢٦٧.

(٢٨٥)أبو الشيخ الأصبهاني رقم (١١/٤)والطبراني في الأوسط (مجمع الزوائد٢١٥/٣، ٢٥٨/٥

أتيت وادي قومه فاحذره، وقد قال القائل: أخوك البكري فلا تأمنه"(٢٨٦) فاستشهد بأمثال العرب مشبها مضرب المثل بمورده.

وفي الحديث:" وإن ممَّا يُنْبِتُ الربيع لما يقتل حَبَطاً أو يُلِمّ"(٢٨٧) "وهو مثل ضربه لمن أُعْطِيَ من الدنيا حظّاً، فألهاه الاشتغال به، والاستكثار منه، والحرص عليه، ومُجَانبة القصد فيه، عن إصلاح دينه، فيكون فيه هلاكه كما أن الماشية إذا لم تقتصد في مراعيها حَبِطَتْ بطونها أي انتفخت من كثرة الأكل فماتت أو كادت، والحبط: انتفاخ البطن، ورواه بعضهم:خبطاً بالخاء، وهو تصحيف"(٢٨٨)

وفي الحديث: "أَفْرَخَ رَوْعُكَ"(٢٨٩) أفرخ روعك: أي زال ما كنت ترتاع وتخاف، وأصله خروج الفرخ من البيضة، وانكشاف الغمّ عنه، قال ذو الرُمَّة:

وجذلان قد أفرخت عن روعه الكُربُ(٢٩٠)

بيئة الحرب:

لباس الحرب: كقوله: "كمثل رجلٍ عليه جُبَّتان أو جُنَّتان، من لدن ثديهما إلي تراقيهما... سبغت عليه، أو مَرَّتْ،... قَلُصَتْ عليه، وأخذت كل حلقة موضعها حتى تُجِنَّ بَنَانَه وتعفو أثره"(٢٩١)، وقوله: "كَجُنَّة أحدكم من القتال"(٢٩٢)، وهذه

(٢٨٦) أبو الشيخ (١١٩) وأبو داود وفي سياق أتم ٢٠٧/١٣، أحمد٥/٢٨٩.

(٢٨٧) رواه أحمد٣/٩١ والمثل في:جمهرة الأمثال ٢٠/١.

(٢٨٨) جمهرة الأمثال ٢٠/١.

(٢٨٩) مجمع الزوائد ٢٥٤/٣، جمهرة الأمثال صـــ٧٤.

(٢٩٠) انظر: جمهرة الأمثال صـــ٧٣ .

(٢٩١) رواه البخاري في اللباس ٥٧٩٧ ٢٦٧/١٠.

(٢٩٢) الأمثال من الكتاب والسنة صـــ٤٩.

الصورة معروفة لدى العرب، في زمن البعثة، ولكننا نستطيع تخيل هذا التشبيه في وقتنا الحاضر، لنفهم الصورة المرادة منه.

ما يحدث أثناء الحرب من القتال والأسر: كقوله: "كمثل رجل خرج العدو في أثره سِرَاعاً حتى إذا أتي علي حصن حصين فأحرز نفسه منهم"(٢٩٣)، وقوله: "فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع"(٢٩٤)، وقال عنهما ابن القيم: هما هو من أحسن الأمثال وأعظمها تقريباً إلى الأفهام.

توزيع الغنيمة بعد الحرب: كقوله: "كرجل غزا مع قوم فاقرعوا سهامهم فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فقال: ما لسهمي لم يخرج ؟ "(٢٩٥)،وهذه البيئة التي توزع فيها أسهم الغنيمة بعد المعركة معروفة لديهم، ومع ذلك نستطيع أن نفهم المراد، وكذلك قوله: "الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة"(٢٩٦)، وهي الغنيمة التي تأتي بلا مشقة ولا تعب.

الأمور الشرعية والفقهية: مثل قوله:" لم يُتَقَبَّل منه إلَّا كما يُتَقَبَّلُ من الزانية التي تزني ثم تتصدَّقُ به علي المريض"(٢٩٧)، وهي صورة ثبت في الأنفس الطاهرة قبحها، وعرف ذلك شرعا، وقوله: "كأنه وارث كلالة"(٢٩٨)، وهو من مسائل

---

(٢٩٣)إعلام الموقعين ٢٣٠/١ -٢٣١.

(٢٩٤)إعلام الموقعين ٢٣٠/١ -٢٣١.

(٢٩٥)كتاب الأمثال في الحديث النبوي صـ٣٢٦.

(٢٩٦)رواه الترمذي ٥٠٩/٣، وأبو الشيخ الأصبهاني في أمثال الحديث النبوي رقم ٢٢٣

(٢٩٧)أبو الشيخ الأمثال في الحديث صـ٣٨١رقم ٣٢٩.

(٢٩٨)أبوا لشيخ الأصبهاني، الأمثال في الحديث النبوي صـ٤٠٤ رقم ٣٥١.

الميراث المعروفة، وقوله: " كلابس ثوبي زور"([٢٩٩])، وقوله: "كمثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير، ثم قام فصلِّي "([٣٠٠])، ومعروف ما يصح به الوضوء شرعا وفقها، ولكن يعطينا أيضا المغزى النفسي لنجاسة المادة التي يريد أن يتطهر بها.

جماعات الناس: كقوله: " كمثل رجل في عصابة معه صرّة فيها مسك وكلهم يعجبه ريحها"([٣٠١])، فيمثل جماعات الناس وعلاقتهم بعضهم بعضا، وقوله:" مثله مثل رجل له ثلاثة أخلاء: فلما حضره الموت قال لأحدهم: إنك كنت لي خلاً، وكنت لي مكرما مؤثراً، وقد حضرني من أمر الله ما ترى، فماذا عندك فيقول خليله ذلك: وماذا عندي وهذا أمر الله تعالي قد غلبني عليك ولا أستطيع أن أنفس كربتك ولا أفرج غَمَّكَ ولا أؤخر سعيك، ولكن هأنذا بين يديك، فَخُذْ مني زاداً تذهب به معك، فإنه ينفعك، قال:ثم دعا الثاني فقال: إنك كنت لي خليلاً، وكنت آثر الثلاثة عندي وقد نزل بي من أمر الله ما ترى، فماذا عندك ؟ قال: يقول:وماذا عندي، وهذا أمر الله قد غلبني ولا أستطيع أ ن أنَفِّس كربتك، ولا أفرج غَمَّك، ولا أؤخر سعيك، ولكن سأقوم عليك في مرضك، وإذا مت أتقنت غسلك وجودت كسوتك وسترت جسدك وعورتك. قال:ثم دعا الثالث فقال: نزلَ بي من أمر الله ما ترى وكنت أهون الثلاثة عليَّ، وكنت لك مضيعاً وفيك زاهداً فماذا عندك؟ قال عندي أني قرينك وحليفك في الدنيا والآخرة، أدخل معك قبرك حين تدخله، وأخرج منه حين تخرج منه ولا أفارقك أبداً... "([٣٠٢])، وهذه صورة

([٢٩٩]) البخاري في النكاح ٢٣١/١١، ومسلم في اللباس ١١١/١٤.

([٣٠٠])رواه الترمذي في الأمثال من الكتاب والسنة صـــ٤٤.

([٣٠١])إعلام الموقعين ٢٣٠/١ -٢٣١.

([٣٠٢]) رواه الرامهرمزي في كتاب أمثال الحديث رقم ٧٥.

بها قصة ثلاثة من الأخلاء المصاحبين، وما يفعل معه، فأيهما ينبغي أن تكون صحبته له أشد؟.

ما يحتفظ به الناس بحاجاتهم: مثل قوله:"كمثل جراب محشو - يعني مسكاً- يفوح ريحه في كل مكان"(٣٠٣)، وقوله:" كمثل الذي يكنز "(٣٠٤)، وقوله: "كمثل جراب أوكي علي مسك"(٣٠٥)، وقوله: "مثل خرزات منظومات في سلك انقطع السلك فتبع بعضها بعضاً"(٣٠٦)، وهي أشياء معروفة في بيئتها، ولا يخفى التشبيه في غيره هذه البيئة.

الظواهر الطبيعية: كقوله: "كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"(٣٠٧)، وقوله: "كمثل الظلمة يوم القيامة لا نور لها "(٣٠٨)، وقوله: "أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله:

(٣٠٣)الرامهرمزي في أمثال الحديث رقم ٤٨ من حديث عثمان نحوه، وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٣٤ صـ٣٨٦ وفي سنده ضعف

(٣٠٤) مجمع الزوائد ١٦٤/١، الترغيب والترهيب ١٢٢/١ - كشف الخفاء مزيل الالتباس ٨٥/٢ مشكاة المصابيح ٢٨٠.

(٣٠٥)رواه النسائي في الكبرى تحفة ٢٨٠/١٠، وابن حبان في صحيحه رقم ١٧٨٤ صـ٤٤٢ والرامهرمزي في أمثال الحديث رقم ٤٨ من حديث عثمان نحوه، وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٣٤ صـ٣٨٦ وفي سنده ضعف

(٣٠٦) رواه أبو الشيخ (٢٦٤) ورواه أحمد ٢١٩/٢، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢١/٧ والحاكم ٥٤٦/٤..

(٣٠٧) المطالب العالية لابن حجر (ط: التراث الإسلامي ٤١٩٣، سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ٤٣٨.

(٣٠٨) رواه الترمذي ٤/ ٣٢٩ (١١٦٧)، وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي ص ٣١- ٣١٤، والطبراني في الكبير ٢٥/ ٣٨ رقم ٧٠.

الشمس والقمر آية منه صغيرة، ترونها وترياتكم، ولا تضامون في رؤيته؟"، وقوله:"(٣٠٩)، " أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر: أسود مربادا، كالكوز مُجَخِّيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب هواه"(٣١٠) وهي ظواهر طبيعية معروفة لكل ذي عينين.

المعادن: مثل قوله: "مثل سبيكة الذهب، إن نَفَخْتَ عليها احمرَّت، وإن وزنت لم تنقص" (٣١١)، وقوله: "كمثلِ القطْعَةِ منَ الذَّهبِ نَفَخَ عَلَيْها صاحِبَها فلم يَتَغَيَّرْ ولم يَنْقُص"(٣١٢)، "كمثلِ النَّحلة أَكَلَتْ طَيِّباً ووضعت طيبا ووقعت فلم تكسر ولم تفسد"(٣١٣)، وقوله: "مثل الحديد يُلْقَي في النار فيذهب خبثها ويبقي طيبها "(٣١٤)، وقوله: "كما يخلص الكير خبث الحديد "(٣١٥)، وقوله: "معادن

---

(٣٠٩) أخرجه الطبراني في الكبير ١٩/٢١١-٢١٤رقم ٤٧٧ وأبو داود ٣/٥٧٧-٥٧٨ رقم ٣٢٦٦ وأبو الشيخ الأصبهاني، في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم (٣٤٥) صـ٣٩٦-٣٩٧

(٣١٠) رواه مسلم في الإيمان (٣٦٢) باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا ١/٨٤١. وقوله:(تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا).

(٣١١) رواه البيهقي، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير ٢/١٥٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٥٥.

(٣١٢) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٤٣، ورواه الرامهرمزي في أمثال الحديث رقم ٢٩.

(٣١٣) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم ٣٤٣، ورواه الرامهرمزي في أمثال الحديث رقم ٢٩.

(٣١٤) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي رقم (٢٧٩).

(٣١٥) رواه الرامهرمزي في كتاب أمثال الحديث ص١٢٧ رقم ٩٥.

كمعادن الذهب والفضة، "(٣١٦) وهي أشياء معروفة في بيئتها، على الرغم من عدم كونها بيئة للنبي صلى الله عليه وسلم، ولم يحترفها، فإنه أحسن التشبيه فيها، فيفهمها من لم يعش البيئة، ويزداد فهما لها من عاشها.

ويوضح ــ ﷺ ــ الصورة أكثر بتأثير تقبل الفتن في القلوب وتأثيرها فيه بهذه الصورة الحسية: كقوله: "كالحصير عودا عودا"(٣١٧)، وقوله: " كَمِقْدَارِ ميل"(٣١٨)، قال سليم بن عامر: فوالله ! ما أدري ما يعني بالميل ؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين، وقوله: "فإن الله لا يمل حتى تملوا"(٣١٩)، ويقول ــ ﷺ ــ: "مرآة أخيه؛ فإن رأي شيئاً فليمطه عنه"(٣٢٠) "كأسنان المشط "(٣٢١). وبعض هذه الأشياء يوجد في بيئة ولا يوجد في أخرى، ومع ذلك يفهمها من كانت في بيئته، ولا تغرب على من لم يعشها لأنه وضحها في التمثيل والقالب الذي وضعها فيه.

---

(٣١٦) رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب (٦٥٨٥) باب: المرء مع من أحب ٧/٧٤٠-٧٤١، وأبو دواد في الأدب (٤٨٤٣) باب: من يؤمر أن يجالس ٤/٢٦٠.

(٣١٧) رواه مسلم في الإيمان (٣٦٢) باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا ١/٨٤١.

(٣١٨) رواه مسلم في صفة الجنة والنار (٧٠٦٦) باب في صفة يوم القيامة ٨/٢٦٩-٢٧٠

(٣١٩) جمهرة الأمثال ١/٢٤ وهذا المثل يقال (لمن يبالغ في طلب الشيء ويفرّط حتى ربما يَفوته على نفسه).

(٣٢٠) رواه أبو داود ٢/٥٧٨، والترمذي ٤/٣٢٥-٣٢٦، البيهقي ٨/١٦٧ ورواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة.

(٣٢١) أبو الشيخ رقم (١٦٦).

(١٢-٠) الخاتمة

كثر ضرب الأمثال في حديث النبي ـ ﷺ ـ وقد كانت مصادره متنوعة لتقريب الصورة وتمثيلها كأنها معاينة أمام أعين المستمعين، وتمت الاستعانة بالبيئات المختلفة سواء أعاشها ـ ﷺ ـ أم لم يعشها، ولكنها صور يستطيع أن يتخيلها من لم يعشها، وتقترب من نفس من عاشها، فهي وسيلة تقرب المعنوي بالحسي، وتساعد على الفهم والإفهام، وهذا يدل على عدم تكلف النبي ـ ﷺ ـ، وحرصه على توضيح ما يقوله وتبيينه للناس بأيسر السبل وأقرب الطرق.

وجدنا معظم هذه الأحاديث التي ترد في ثوب الأمثال، لا ترد في شكل واحد ولكنها ترد طبقا لمتطلبات دقيقة بيانية، فلفظة مثل لا يصرح بها في كل حديث في هذا القالب التشبيهي فقد يعتمد على الكاف؛ ليربط بين المتشابهين الذين يوضح أحدهما الآخر، وقد يجمع بين (الكاف، ومثل) وهنا اعتمد على الصيغة (فذلك مثل)، وقوله: فذلك: جواب شيء محذوف، أي: إذا تقررَّ ذلك عندكم فهو مثل الصلوات.....إلخ، وقد لا تذكر أداة تشبيه.

المتأمل في تركيب الصورة التشبيهية يلاحظ أن هذه الصورة تفصح تماما عن المقصود منها قبل أن يكون هناك شعور بأنه تصوير تمثيلي إذ: نقل المشبه به من المخيلة إلى الواقع المرئي.

لم يعش النبي صلى الله عليه وسلم بيئة الأنهار العذبة ، وكذا بيئة البحار ومع ضرب بهما الأمثال، مما يدل على عالمية الإسلام وأنه كما ضرب الأمثال بالبيئة الصحراوية فضرب أيضا الأمثال بالبيئات الأخر، وعندما شبه بأشياء من البيئة لم يقتصر على معرفة المستمعين من بيئته بمعرفة ما فيها، ولكنه وضحها، فيستطيع أن يفهم التشبيه والمثل من لم يعش هذه البيئة.

أما ضارب المثل فتعدد فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم يضرب المثل "مثلي ومثل الأنبياء..."، ومرة يكون الله تعالى هو الذي يضرب المثل "ضرب الله صراطا..."، ومرة تكون الملائكة "فاضربوا له مثلا..."، فنوّع في نسبة المثل في البيان النبوي.

وما هذه الدراسة إلا نقطة من بحر البيان النبوي، وأرجو أن تكون لبنة في بنيان الدراسات الأدبية والبيانية حول أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

(١٣-٠) أهم المصادر والمراجع:

١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسي، قدم له وضبط نصه:كمال يوسف الحوت، ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان سنة ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م.

٢) الإصابة فى تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلانى ، مصر سنة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م

٣) إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، ، تحقيق عصام الدين الصبابطي، طبع دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م.

٤) الأعلام، خيرُ الدين الزر كلى، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، ١٩٨٩م.

٥) الأقصوصة في البيان النبوي د. متولي محمد البساطي (ندوة مؤتمر الأدب الإسلامي بآداب عين شمس.

٦) أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ، للرامهرمزى الفارسي، بتحقيق د/ عبدالأعلى الأعظمي، بالدار السلفية، الهند، في أكتوبر سنة ١٩٨٣م،

٧) أمثال الحديث، مع تقدمة في علوم الحديث، د.عبد المجيد محمود، دار التراث العربي بالقاهرة، سنة ١٩٧٥ م.

٨) الأمثال في الحديث النبوي الشريف، د. محمد جابر فياض العلواني، ط ١، مكتبة المؤيد، الرياض سنة ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م.

٩) **الأمثال في النثر العربي القديم بمقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى**،، د.. عبد المجيد عابدين، مكتبة مصر، سنة ١٩٥٦ م .

١٠) **الأمثال من الكتاب والسنة**، لأبى عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذي، تحقيق: على محمد البجاوي، ط مكتبة دار التراث الإسلامي، د ت.

١١) **أهم الملامح الفنية فى الحديث النبوى** ، د. صابر عبد الدايم ، ندوة الأدب الإسلامى بكلية الآداب جامعة عين شمس .

١٢) **تمثال الأمثال** ، أبو المحاسن محمد بن على العبدرى الشيبى ، حققه د. أسعد نبيان ط ١ ، دار المسيرة ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٤٠٢ هـ =١٩٨٢ م .

١٣) **جمهرة الأمثال**، لأبى هلال الحسن بن سهل العسكري، ضبطه وكتب هوامشه ونسقه : د. أحمد عبد السلام، خرج أحاديثه : أبو هاجر محمد سعيد بن بسيونى زغلول، ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

١٤) **الحاكم** (المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبى عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، بإشراف د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان د ت.

١٥) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، للسيوطي، تحقيق: محمد لطفي الصباغ، ط جامعة الملك سعود،

١٦) **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، لمحمد ناصر الدين لألبانى ، ط ١ ، الدار السلفية ، الكويت ،سنة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

١٧) **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط ١، الدار السلفية، الكويت، سنة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م.

١٨) **سنن أبى داود**، للإمام الحافظ المصنف المتقن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى (ت ٢٧٥ هـ)) ط دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .

١٩) **سنن الدارمي**، للدارمي (عبد الله بن عبد ارحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصَمد التميمي السمرقندي الدارمي) ط دار إحياء السنة النبوية د ت.

٢٠) **صحيح مسلم** للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ومعه:المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام الحافظ الفقيه: أبى زكريا محيى الدين يحيى النووي، تحقيق د. عبد المعطى أمين قلعجي، الناشر دار الغد العربي الطبعة الأولى (من رمضان ١٤٠٧ هـ = مايو ١٩٨٧ م - رمضان ١٤١٠ هـ = إبريل ١٩٩٠ م.

٢١) **الفاخر**، لأبى طالب (المفضل بن سلمة بن عاصم، ت: ٢٩١ هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، ومراجعة محمد على النجار، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤ م.

٢٢) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ: أحمد بن على بن حجر العسقلاني، قرأ أصله تصحيحا وتحقيقا وأشرف على مقابلة نسخه، المطبوعة والمخطوطة:عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقمه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، الطبعة السلفية د ت.

٢٣) **الفن البلاغي في أمثال الرسول الكريم**، فاطمة الزهراء محمد سعاد جلال، رسالة دكتوراه، مخطوطة بكلية البنات جامعة عين شمس، سنة ١٩٩٣= ١٤١٣ هـ.

٢٤) **القاموس المحيط**، للفيروزأبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي الشيرازي) وبهامشه تعليقات وشروح، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية سنة ١٣٠١ هـ، ط ٣، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م.

٢٥) **كتاب الأمثال في الحديث النبوي**، لأبى الشيخ الأصبهانى، تحقيق،د/ عبد العلى عبد الحميد حامد، بالدار السلفية بالهند،الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ -١٩٨٢ م، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م .

٢٦) **كتاب أمثال الحديث** المروية عن النبي ـ ﷺ ـ، للرامهرمزى (القاضى أبو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد)، علق عليه أحمد عبد الفتاح تمام، ط ١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م.

٢٧)**كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** ، للشيخ إسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى ، أشرف على طبعه

وتصحيحه والتعليق عليه أحمد القلاش ، ط : مؤسسة الرسالة ط ٣ سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

٢٨) **كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال** ، للعلامة علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى البرهان فورى ، ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكرى حيَّانى ، صححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوت السقا ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، سنة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

٢٩) **لسان العرب**، لابن منظور، تحقيق: عبد الله الكبير، ومحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، ط دار المعارف.

٣٠) **مجمع الأمثال**، الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، تحقيق محي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، الطبعة الثّانية، مطبعة السّعادة، مصر، سنة (١٩٥٩م.

٣١) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي، وابن حجر، ط مؤسسة المعارف بيروت.

٣٢) **مسند أحمد**، ط الميمنية (الحلبي) بمصر، سنة ١٣١٣ هـ، وأرقام صفحاتها موجودة أيضا على هامش مسند الأمام أحمد بن حنبل، رقم أحاديثه محمد عبد السلام عبد الشافي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م، وطبعة الشيخ شاكر.

٣٣) **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية** ، للحافظ ابن حجر أحمد بن على العسقلانى، تحقيق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمى ، ط دار المعرفة بيروت د ت ، ط دار التراث الإسلامى

٣٤) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لمجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، مصر.